كيف أكتشف إرادة الله؟

عادل لبيب

دكتور صموئيل حبيب

كيف أكتشف إرادة الله لى

دكتور القس صموئيل حبيب



طبعـة ثالثة منقحة ومزيدة

صدر عن دار الثقافة ص . ب . ١٢٩٨ - القاهرة

جمع فى سيوبـرس
رقم الايداع بدار الكتب : ٤٢٠٠ / ١٩٨٩
طبع بمطبعة : دار نوبار للطباعة ـ شبرا ـ القاهرة

فى هذا الكتاب

الإهداء

إلى ابنى

رفيق

وهو يواجه مسئوليات الحياة

فى خدمة السيد

تمهيد

فى القرن العشرين ، وسط خضم الفلسفات المتلاطمة ، ومذاهب الفكر المتشاحنة ، فى عصر يستبد فيه القلق بالناس ، ويواجه فيه الشباب واقعاً متغيراً ، لا استقرار فيه ، تتجه الأنظار إلى البحث عن هدف أو معنى للحياة . فإن الملايين من البشر ، يتجهون فى ضلال ، لا يحسون للحياة لذة ، ولا يرون للحياة معنى ، أكثر من أنها متعة طارئة عابرة ... أنى لها أن تستمر .

فى هذا العصر ، يتجه المؤمن إلى الله . فيجد للحياة معنى رائعاً ، وهدفاً حقيقياً ، جديراً بأن تكرس له الحياة بجملتها . فيحس فى أعماقه أنه لا يقدر أن يتحرك دون أن يعرف ماذا يريد الله منه . ألم يقل الرسول بولس ، إن الله خلقنا فى المسيح يسوع ، لأعمال صالحة ، قد سبق فأعدها ، لكى نسلك فيها ؟ وهنا يتساءل المؤمن المخلص : ما هى الأعمال الصالحة التى سبق الله فأعدها لى لكى أسلك فيها ؟

فإنه إلى جانب أن إرادة الله معلنة فى الكلمة المقدسة فى إطارها العام ، يواجه كل مؤمن قرارات خطيرة يصدرها بين الحين والآخر فى أمور لا يمكنه أن يتنبأ بنتيجتها أو مصيرها ؟ ولهذا نقدم هذا البحث ، لعله يعاون المؤمن الباحث المدقق فى اكتشاف إرادة الله له ، وتطبيقها فى حياته .

وقد أخذ هذا البحث دراسة مستفيضة لاكتشاف إرادة الله عن طريق عرض الوسائل التى وردت فى العهد القديم ، ثم الوسائل التى وردت فى العهد الجديد . كما تعرض الكاتب لكافة المجالات الفكرية فى الوسائل القديمة والمستحدثة لمعرفة إرادة الله ، مغطياً كافة الطرق التى تعرضت لها الكلمة المقدسة بالبحث والتحليل الدقيق الصريح .

وإننا نرجو ألا يظن القارىء أن الكاتب يقدم « وصفة سحرية » توصله بسهولة ويسر إلى معرفة « مكونات الأزل والأبد » فإن هذا لا يتفق مع تعليم الكلمة المقدسة . إلا أن الكاتب حاول أن يستعرض فى أسلوب واضح ، إلى جانب أنه أسلوب علمى لاهوتى الطريقة التى يصل بها الإنسان إلى اكتشاف « ماذا يريد الله منه » .

وقد قدم الكاتب دراسة مستفيضة فى عمل الروح القدس الإرشادى ودوره فى حياة المؤمن من هذا الجانب ، ملتزماً الدراسة الواقعية العملية بعيداً عن الخيال ، ليتمكن القارىء من تطبيق المبادىء والأفكار على حياته الشخصية .

وإننا نرجو من القارىء أن يدرس البحث حتى نهايته قبل أن يتبين الوسيلة التى يمكنه بها أن يكتشف إرادة الله ، فإن البحث كله وحدة لا تتجزأ .

كما نرجو أن يكون هذا البحث هداية واستقراراً لفكر الكثيرين من المؤمنين ، وإبعاداً لهم عن الاعتماد على المحسوسات ، بل تركيزاً لحياتهم على الإيمان ، وتعميقاً لمفاهيمهم الروحية ، لينموا وينضجوا فى الحياة الروحية وفى كل معرفة واختبار .

دار الثقافة

١

ما هو المقصود بإرادة الله ؟

كان العبرانيون يعرفون الإرادة باعتبارها رغبة ، لا باعتبارها صفة من صفات الفكر الإنسانى تقارن بالعقل والمشاعر والعواطف . ولهذا فنحن إذ ندرس إرادة الله لا ندرسها كما فهمها اليهود فحسب ، بل نناقشها فى ضوء ما تعلنه أعمال الله . وإن كانت التعبيرات العبرية واليونانية فى العهدين القديم والجديد تعنى المشيئة بصفة عامة ، إلا أن الإرادة بمعناها السيكولوجى الحديث وردت لأول مرة فى رسالة بطرس الأولى (٣ : ١٧) فى قوله « لأن تألمكم ، إن شاءت مشيئة الله ، وأنتم صانعون خيراً أفضل منه وأنتم صانعون شراً » . ثم تكررت فى رسالة بطرس الثانية (١ : ٢١) « لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان ، بل تكلم أناس الله القديسين مسوقين من الروح القدس »

إن الإرادة هنا تعنى مجرد « رغبة » تخطر على بال الإنسان ، بل « رغبة ملحة » يريدها الإنسان بكل عواطفه وأفكاره وإحساساته . لذلك ونحن نتحدث عن « إرادة الله » ، إنما نعبر عن « مقاصد » الله السامية للبشر ، التى يريدها أن تتحقق فى حياتهم .

وعندما يشير الكتاب المقدس إلى « إرادة الله » يستخدم لها تعبيرات عديدة فإن قال « رأى الله كل ما عمله أنه حسن » كان ذلك يعنى أن ما عمل يتفق مع إرادته . وعندما يتحدث عن بخور يصعد رائحة سرور للرب ، فإنه يقصد أن الله يتقبل البخور ويقبله ويرضى عليه . وعندما يتحدث عن « مسرة الرب » ، فهو يتحدث عن « إرادته » .

إن الكتاب المقدس يستعمل كلمة « إرادة الله » بنفس المعنى الذى تستعمل به عبارة « إرادة الإنسان » . فالإرادة هى رغبة شخص يتمتع بقوة وسلطان . وإرادة الله هى رغبته الملحة للإنسان ، التى هى لخير الإنسان وبنيانه .

إن إرادة الله للإنسان ، هى من صميم مقاصده العليا والسامية ، فهو

الذى يعرف الإنسان ، وكل ما يحيط به . ولذا ، فإن الله يريد للإنسان سعادة ورفاهية من كل جانب .

٢

إرادة الله
هل هى فى متناول البشر ؟

يتيه الإنسان فى عالم الغيب وهو يفتش عن موقع الإرادة الإلهية . بل إن الإنسان يتمنى أن يدرك الغيب ويعرف ما وراء الطبيعة . إلا أن الإنسان لأنه لا يستطيع معرفة الغيب يريد أن يعرف إرادة الله بالنسبة له . وكم يحتار المؤمن وهو يتسائل : ماذا يريدنى الله أن أعمل ؟ وأحياناً يظن شخص أنه ينفذ إرادة الله بكاملها وقد يكون هذا صواباً أو خطأ .. وأحياناً يتردد إنسان ما طويلاً قبل أن يقرر أنه تمكن أن يعمل ما يعتقد أنه إرادة الله .

يتجه تفكير الكثيرين إلى أن إرادة الله شيء يمكن أن يعرف بطرق محسوسة ملموسة ويتجهون بكل طاقاتهم لهذه الطرق . وينادى البعض أن الإنسان الروحى يصل إلى شفافية روحية يعرف بها إرادة الله بسهولة ويسر . إن محاولة الوصول إلى اكتشاف إرادة الله موضوع خلافات كثيرة فى الرأى . والبعض يخلط بينه وبين المفاهيم القدرية المترسبة فى مجتمعنا الشرقى .

فهل إرادة الله سهلة الاكتشاف ؟ هل يجوز للإنسان أن يسأل الله عن إرادته ؟ .

فى خضم هذا التفكير يبدأ هذا البحث .

هل يهتم الله بالفرد ؟

وهنا نبدأ مناقشة أول سؤال يتبادر إلى ذهن الإنسان ونحن نناقش إرادة الله بالنسبة للبشر . فقبل أن نسأل عن إرادة الله بالنسبة للإنسان الفرد ، نتساءل هل يهتم الله بالفرد إهتماماً خاصاً ، وهل يهتم بكل أموره ؟ إن إهتمام الله يمتد للدول والشعوب والعالم كله والخليقة بأسرها وبكل أفلاكها ، إذ أنها خليقته . إلا أن الله — إلى جانب ذلك — يهتم بصفة خاصة بالفرد كفرد . لقد إهتم الله بخلاص الفرد . دعى الله ابراهيم ، ودعى يعقوب وإسحق . تعامل الله مع كل من متى ومرقس ويوحنا وبطرس وبولس وغيرهم . إهتم يسوع بالمريض بقدر إهتمامه بالخاطىء . إكترث يسوع بمريم

ومرثا كما انفعل مع حادث لعازر . ذهب يسوع وسط الأروقة يبحث عن مريض قضى على الفراش ٣٨ عاماً . بذل يسوع جهداً خاصاً وهو يتفاعل مع حاجات البشر ، فأطعم الجياع عند اللزوم ، وقدم الغذاء الروحى لمن احتاجه . إن حياة الفرد بكل مشتملاتها تقع فى إهتمام الرب وعنايته . ألم يقل كاتب المزمور « الرب راعى فلا يعوزنى شيء ، فى مراع خضر يربضنى وإلى مياه الراحة يوردنى، يرد نفسى يهدنى إلى سبل البر ، أيضاً إذا سرت فى وادى ظل الموت لا أخاف شراً ، لأنك أنت معى ...ترتب قدامى مائدة تجاه مضايقى ... كأسى ريا ... إنما خير ورحمة يتبعاننى كل أيام حياتى ... » ؟ . إن رعاية الله شاملة . إنها تغطى حاجة الفرد فى الفرح والضيق ، فى الراحة كما فى طريق المخاوف . إن عناية الله تقدم للإنسان غذاء روحياً شاملاً يعاونه على الحياة اليومية العادية . لقد خلق الله الإنسان ، ليكون يسوع « بكراً بين إخوة كثيرين » . وليس من الطبيعى أن يخلق « أخوة » لا يكترث بهم ولا بظروف حياتهم .

إن أخلاق الفرد وطريقة سلوكه تعتمد كثيراً على ظروف حياته الفكرية والجسمية ، وإرادته الذاتية . لهذا فإن إهتمام الله بالفرد لا يتوقف على مجرد الحياة الروحية والسلوك الشخصى فحسب ، بل يمتد ليشمل صحة الفرد وتفكيره ، ونظام حياته ، وزواجه ، وعائلته ، وأملاكه من مال وعقار إلى غير ذلك . وأساس هذه العلاقة أن الله يحب البشر . إن الله يحب الخاطىء رغم خطيته ، وذلك لأنه يريد صلاح البشر ، إننا عندما ترتفع من قلوبنا صلاة لله ، داعية إياه « أبانا » يكون هذا إقراراً ضمنياً من الإنسان بأن الله يهتم به وبسعادته ورفاهيته . ألم يخلق الله هذه الخليقة وكل الكائنات التى فيها ، فكيف لا يهتم بها ؟ أليس هو أباً لنا ؟

قد تظن أن الله « أكبر » لا يصل البشر إليه . ولقد كانت هذه هى الصورة فى العهد القديم عندما نظروا إلى الله بأنه « عظيم » و « مهوب » و « متعال » ... إله الجبال ، والحرب ، والقتال . حتى جاء الأنبياء المتأخرون

وارتفعوا بالفكر الإنسانى ليرى الله « المحبة » . وكان زواج هوشع من (زانية » مفاجأة عنيفة للشعب .. فأحس هوشع فى حياته الشخصية مع زوجته ، بإحساسات الله الذى يحب كل أبناء البشر ، رغم أنهم زنوا عنه . كما جاءت إعلانات الحب الإلهى للبشر فى نبؤات إشعيا وإرميا تدوى بصوت مرتفع ، تعد العالم أجمع بالتجسد الإلهى فى جسد البشر ، حباً متجسداً لكل إنسان على وجه الأرض . إن الله « تعالى » ، « تنازل » إنساناً ليكون معنا ، وعلى مستوانا .

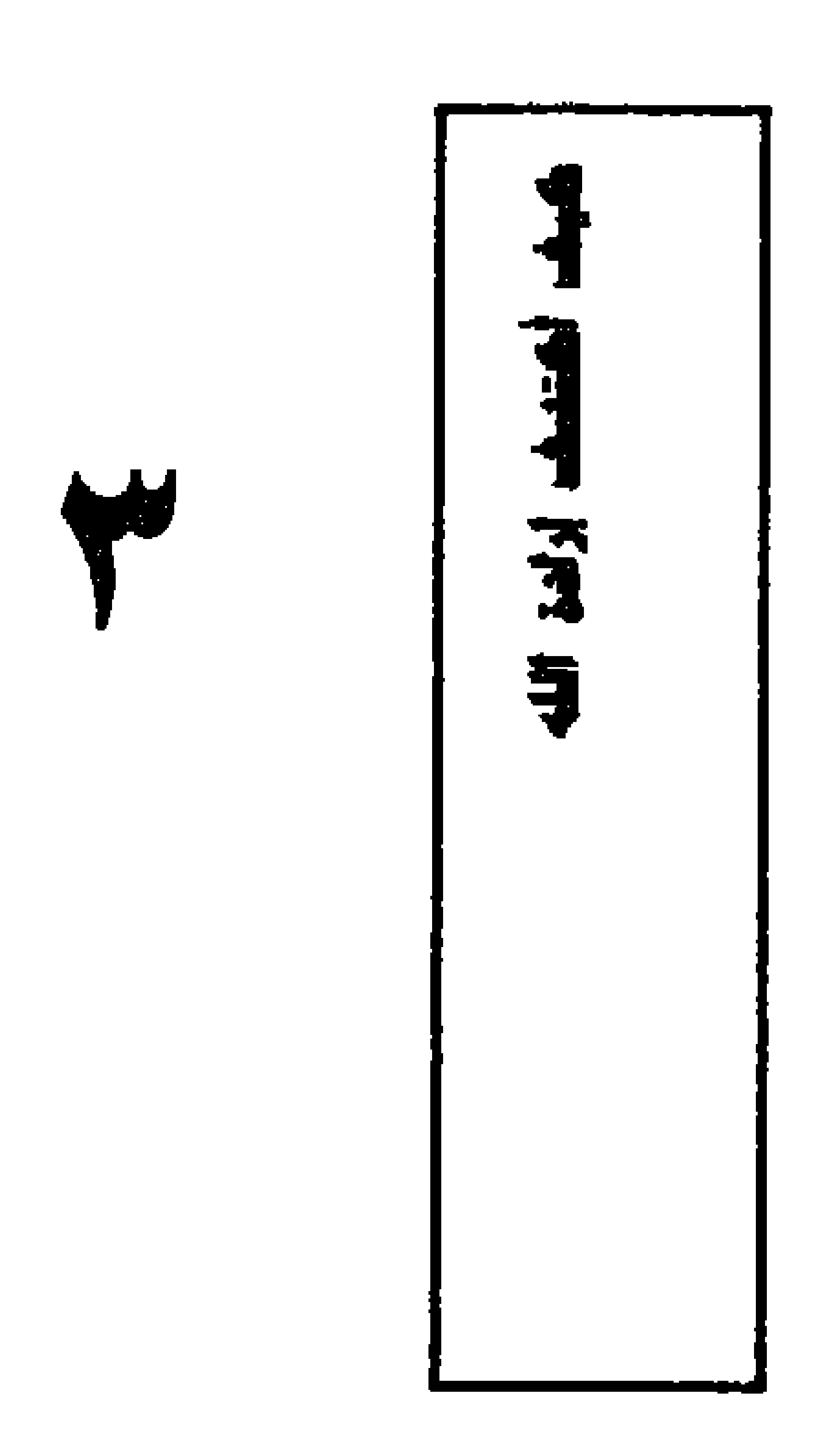
وقد أخطأ بعض المفكرين العصريين عندما نادوا بأن الله أكبر من الفرد ولا يعتنى بالفرد ، وحاولوا أن ينوا نظريتهم على أن الله دعا ابرهيم ليكون شعباً ، ثم تعامل الله مع الناس « كشعوب » وليس كأفراد . وأن الله أكبر من أن يضيع وقته على أفراد . وهل ينسى أولئك معاملات الله للبشر كأفراد . فإن كان الله دعا ابرهيم ليكون منه شعباً ، ولكنه تعامل مع ابرهيم كفرد : دعاه للخروج ، دعاه لتقديم إسحق ، ودعاه — قبل الكل — للإيمان بالإله الواحد . وهل ننسى كيف تعامل الله مع سارة ، زوجة إبراهيم ؟ إن الفرد هو مركز إهتمام الله . ألم يأت المسيح متجسداً ليكون « بكراً بين إخوة كثيرين » ؟ أليس الإنسان موضع لذة الله وإهتمامه وسهره ؟ إن دعوة المسيح للعالم كانت دعوة للأفراد كما كانت دعوة للجماعات . إن فلسفة المسيح كانت تنطوى على تغيير المجتمع الإنسانى كله على أساس تغيير الفرد بإيمان عميق يتأصل فى أعماق نفسه . إن الله يهتم بالفرد ، ويرشده فى الأمور الصغيرة والكبيرة على حد سواء .

ويهدف الله من وراء دلك أن يعيش الإنسان معه فى شركة ، بل إن عناية الله تعمق فى الإنسان علاقته مع الله لتكون أكثر فاعلية ، فى حياته ، كما فى حياة المجتمع ككل .

هل يريدنا الله أن نعرف إرادته ؟

وهنا نتساءل مرة أخرى : إن كان الله يهتم بالفرد ، فهل يريد الله أن يخفى إرادته عن الفرد ؟ أم أن الله يريده أن يعرف إرادته ؟ إن الله يعلن سره لأبنائه المؤمنين . يحدثنا بولس الرسول فى رسالته إلى أفسس (١ : ٩) قائلاً : « إذ عرفنا(الله) بسر مشيئته ، حسب مسرته التى قصدها فى نفسه » . ويقول الرسول بولس أيضاً (رومية ١٢ : ٢) « تغيروا عن شكلكم ... لتختبروا ما هى إرادة الله » ، فإنه لا يكفى أن نعرف إرادة الله معرفة العقل ، بل أن نختبرها عملياً فى حياتنا .

ويصلى الرسول لأجل أعضاء كنيسة كولوسى (١ : ٩) « من أجل ذلك ، نحن أيضاً ، منذ يوم سمعنا لم نزل مصلين طالبين لأجلكم : أن تمتلئوا من معرفة مشيئته فى كل حكمة وفهم روحى » . إن معرفة مشيئة الله جزء طبيعى من بناء حياة الإيمان المسيحى . فإن البنوة لله تعتمد أساساً على معرفة الإبن لأبيه ، وبالتالى معرفة الإبن لإرادة أبيه خاصة بالنسبة له . إن مشيئة الله ليست لغزاً يترك الإنسان حائراً ، قد يكتشفه أو لا . إن طبيعة العلاقة بين الآب والإبن أن تكون مشيئة الآب واضحة للإبن .



٣

ما هى إرادة الله للإنسان ؟

إن الإرشاد الإلهي هو العنصر الذى يربط المنظور بغير المنظور . ولما كانت الكتب المقدسة هى الإعلان الإلهي الرئيسى والأساسى للجنس البشرى ، لذلك فإن أساس الإرشاد الإلهي هو فى صلب كلمة الله . قال يسوع « إن شاء أحد أن يعمل مشيئته ، يعرف التعليم ، هل هو من الله ؟ أم أتكلم أنا من نفسى (يوحنا ٧ : ١٧) . فإن أى تعليم ينبغى أن يرتبط أساساً بكلمة الله . ولا يجوز الاجتهاد فى التفسير بالوسائل وبالمعانى التى تنحرف بكلمة الله عن معناها الحقيقى الواضح . إن كلمة الله تعلن الإرادة الإلهية الشاملة للبشرية كلها .

إرادة الله لخلاص البشرية :

أعلن الكتاب المقدس إرادة الله لخلاص البشرية . وقد كان واضحا أن الله يعلن إرادته فى الكتاب المقدس ، مهاجماً قوات الشر محطماً إبليس . فإن إبليس — عدو كل إنسان — يريد أن يحطم حياة البشر ويهلكها . لذلك أعلن الله إرادته الصريحة لخلاص البشرية . وكان آخر إعلان مجيد لها تجسد السيد فى شخص المسيح ، يكون الإعلان كاملاً موضحاً للبشرية صورة صادقة لذات الله . وبتجسد المسيح صار إعلان الله لما أسماه « ملكوت الله » أو « ملكوت ابن الله » أو « ملكوت ابن محبته » أو « ملكوت السماء » . ويمثل هذا الملكوت أنشطة من شكل جديد ، وحياة جديدة ، وأخلاق سلوكية للبشر تعلن عن ذات الله وعن عمل إرادته . ظن اليهود قديماً أن ملكوت الله لهم ، وأنهم وحدهم أبناء الملكوت . إلا أن عاموس النبى هاجم هذا الفكر وأعلن أن الله يتعامل مع كل الأمم والشعوب ، يرشدهم ويعطيهم نعمة وفداء (٩ : ٧ و ٨) .

من هذا نرى أن الخلاص هو إرادة الله للجميع . قال يسوع : « لأن هذه هى مشيئة الذى أرسلنى أن كل من يرى الابن ويؤمن به ، تكون له حياة أبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير » « فهو يريد الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون » . ويتعمق بولس فى قوله : إذ سبق فعيننا للتبنى ،

يسوع المسيح لنفسه ، حسب مسرة مشيئته » (أفسس ١ : ٥) أو قوله « الذى بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر حسب إرادة الله وأبينا » (غلاطية ١ : ٤) كيف لا ، وقد « شاء فولدنا بكلمة الحق ، لكى نكون باكورة من خلائقه » (يعقوب ١ : ١٨) .

إلا أن الإنسان وهو يواجه إرادة الله للخلاص يواجه صراعاً نفسياً وروحياً مريراً . وقد وصف يسوع حالة البشر على هذا النحو ، قال : « أنتم من أب واحد وهو إبليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ، ذاك كان قتالاً للناس من البدء ، ولم تعلموا » . « ولم يثبت فى الحق ، لأنه ليس فيه حق ، متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له ، لأنه كذاب وأبو كل كذاب » . لذلك كان تدبير الله المبارك أن يخلص الخطاة ، « فيستفيقوا من فخ إبليس إذ قد اقتنصهم لإرادته » (تيموثاوس الثانية ٢ : ٢٦) .

إرادة الله للتقديس :

بل إن إرادة الله للإنسان لا تكتفى بإنقاذه من الخطية وإبليس ، بل تمتد إلى تقديس الإنسان ، فإن « إرادة الله قداستنا » (تسالونيكى الأولى ٤ : ٣) . وكانت وصية الله على لسان بطرس (رسالة بطرس الأولى ١ : ١٤ ــ ١٦) هى نفس الوصية التى جاءت فى اللاويين (١٩ : ٢) « كونوا قديسين لأنى أنا قدوس » . فإن الإنسان هيكل لروح الله وروح الله يسكن فيه (كورنثوس الأولى ٣ : ١٦) وبذلك لا يصبح الإنسان ملكاً لذاته بل لله (كورنثوس الأولى ٦ : ١٩) . يقول بولس الرسول لكنيسة أفسس (١ : ٤) « كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم ، لنكون قديسين وبلا لوم قدامه ، فى المحبة » .

وإلى جانب ذلك يرى الله نفسه والإنسان معاً فى مجال رسالة واحدة . فالإنسان مدعو للعمل والثمر (يوحنا ١٥ : ١٦) إذ أنه عامل مع الله ،

(كورنثوس الأولى ٣ : ٩) وفى ارتباطه بالله ، ارتباط بالإرادة الإلهية السامية التى تريد مجد الإنسان ، ورفعته وسموه . إن إرادة الله السامية للإنسان هى أن ترفع الإنسان من هوة الهلاك ، إلى حياة روحية مقدسة ممتلئة من روحه ، وتعده لحياة مجيدة فى خدمة مباركة مثمرة .

وهنا قد يتساءل شخص ؟ هل هذا يشملنى أنا ؟ وأنا قد ارتكبت شروراً عديدة ، وصنعت الشر أمام عينى الله ؟ نعم ... إنه يشرق شمسه على الأبرار كما يشرق شمسه على الأشرار . إن كل البشر أبناء لله بحكم الخلق وبحقه . والله يعطف على كل البشرية . هذا إلى جانب أنه لا يوجد من لم يخطىء . وهل يميز الله بين من أخطأ بالكثير ومن أخطأ بالقليل ؟ فالكل قد انحرفوا عنه ، زاغوا وفسدوا ليس من يعمل صلاحاً ، ليس ولا واحد . وكأن قصد الله الأزلى أن يخلق البشرية فى شخص المسيح يسوع ابن الله المتجسد ، وفعلاً كان أن إرادة الله لجميع الناس أن يخلصوا وأن يعيشوا حياة البر والتقوى مع الله .

٤

إرادة الله والسلوك اليومى للفرد

لقد وضعت لنا الكتب المقدسة المبادىء الرئيسية للسلوك فى الحياة اليومية . وإن اعتبرنا أن الكلمة المقدسة سجل مدقق لتعامل الله مع البشر فى عصور التاريخ المختلفة ، فإن كلمة الله مليئة بنماذج حية لتعامل الله مع البشر وللسلوك المرضى قدامه ، أو السلوك الذى لا يرضيه .

إلا أنه إلى جانب ذلك فإن المجتمع الحاضر بمشكلاته وصراعاته ، وأساليب الحياة المختلفة فيه ، يدفع المؤمن مرات كثيرة للتفكير فى القيم وألوان السلوك الصحيحة التى تتفق وتعليم السيد المسيح . كما أن الإنسان يواجه فى حياته اليومية أموراً عديدة يحتار كيف يتصرف بإزائها : بعضها صواب وبعضها خطأ . ففى مرات يحتار ماذا يختار ؟ هل يختار الصواب أم يختار الخطأ ؟ وقد يكون الخطأ أقرب إلى الإرتباط الإنسانى البشرى الذى يعيشه فى هذه الحياة .

ويزيد الموضوع حدة عندما يواجه الإنسان موقفين كلاهما صواب ، ويجد نفسه مضطرباً : أيهما أفضل ؟ إلا أن الأمر يزداد قسوة وإيلاماً على النفس عندما يواجه المؤمن موقفين كلاهما شر ، ويجد نفسه مضطراً أن يرتكب أحدهما ، فماذا يعمل ؟

إن المؤمن الحى لا يرى فى المسيحية أوامر ونواه . إن المسيحية لا تحتوى على محرمات ومحللات . لقد نادى اليهود فى العهد القديم بمجموعة كبيرة منها ، حتى أن العهد القديم ميز بين ما هو محلل وما هو مقدس ، كما ميز بين ما هو محرم وماهو محلل . وحيث أننا لسنا بصدد هذه الدراسة والتوسع فيها إلا أننا نقف مرات كثيرة ، نريد أن نعرف ...

إن المؤمن الحقيقى يهدف فى حياته أن يسلك بإيمان صادق عميق . فالإيمان والسلوك مرتبطان ارتباطاً وثيقاً ، إذ ينبع السلوك من الإيمان ويوجه الإيمان السلوك . فإن السلوك الحميد بدون إيمان لا قيمة له . أما الإيمان الذى لا يلد سلوكاً مسيحياً فليس إيماناً .

إننا عندما ندرس الإرشاد الإلهى ، نحن ندرس أمراً من أخطر الأمور فى تعامل الله مع البشر . فإن علاقة الله مع البشر تتم عن طريق الإيمان به من ناحية البشر ، وإرشاد الله لهم من جانب الله . إن أعمالاً عديدة فى إطار العالم تتوقف على إرشاد الله اليومى للبشر . فإن المسيح عندما قال على الصليب « قد أكمل » ، كان يعلن إنتهاء عمل لله الفدائى لخلاص البشرية . ففى صليبه تمت علاقة الخالق بالمخلوق ، وانتصار المحبة الإلهية للبشر على جميع العوامل الأخرى . لقد نزل يسوع ليعلن للبشرية إرادة الله . لهذا فإن إهتمام الله بإعلان إرادته ، وبالتفاعل والاندماج بينه وبين البشر فى هذا المجال كان الخطوة الكبرى فى سبيل وصولنا لمعرفة هذه الإرادة . والذى ينتظره الله أن تكون هناك علاقة « الأخذ والعطاء » بينه وبين البشر ، ليصل البشر إلى معرفة حقيقة هذه الإرادة . ولا تتم هذه العلاقة إلا بالإيمان بالله من جانب البشر . ولعل هذا هو معنى قول الرسول لكنيسة رومية (١٢ : ٢) « تغيروا عن شكلكم ... لتختبروا ما هى إرادة الله » . ولعل بولس يتابع فى هذا الحديث ندائه عن « لبس الجديد الذى يتجدد كل يوم حسب معرفة خالقه » . فإن حياة الإيمان جدة حية ، تتجدد كل يوم ، تختبر إرادة الله يوماً بعد يوم . ويقول الرسول بولس أن الإنسان ينمو فى المعرفة الروحية « حتى يميز الأمور المتخالفة » . (فيلبى ١: ٩ ، ١٠) . ولعل الرسول يقصد بهذا القول أن المؤمن يختار الحسن بدلاً من الردىء ، ويختار الأحسن بدلاً من الحسن ، ولا بد للمؤمن الحى من مقدرة على التمييز بين هذه الأمور .

إلا أن المعرفة السلوكية للمؤمن تختلف من فرد إلى فرد ، ومن مجتمع إلى مجتمع ومن موقف إلى موقف . فإن الاختيار ليس قاصراً على حرفيات محددة بشريعة إلهية . فإننا نختلف عن بعضنا البعض فى مستوى الذكاء ، ونوع المجتمع الذى نعيش فيه ، وأسلوب الحياة الذى نسلكه ، والمستوى العلمى الذى نصل إليه ، والظروف الاجتماعية التى تحيط بالفرد وعائلته .

فإننا ــ فيما عدا ما جا فيه إعلان صريح فى كلمة الله ــ نختلف فى تقييمنا للمواقف .

ولعل ذلك كان واضحاً كالشمس فى حديث بولس ، عن مشكلتين عاشتا فى الكنيسة الأولى . أولهما مشكلة الأكل مما ذبح للأوثان ، وكيف أن البعض ــ ومنهم الرسول نفسه ــ استراح ضميره على الأكل مما ذبح للأوثان ، والبعض لم يسترح ضميره . وفى مشكلة التمييز بين الأيام ، وفى هذا قدس البعض أياماً معينة أكثر من غيرها ، ورفض بولس شخصياً هذا الفكر . إلا أن الرسول طالب بأن صاحب الفكر المحافظ لا يجوز له أن يدين صاحب الفكر المتحرر ، وأن صاحب الفكر المتحرر لا يجوز له أن يدين صاحب الفكر المحافظ (راجع رومية ١٤ ، وكورنثوس الأولى ٨ ــ ١٠) . هذا بالاضافة إلى أن المقصود بالمتحرر هنا أنه مؤمن لا يستبيح الخطية لنفسه ، والمتحرر والمحافظ ــ فى مفهومنا هنا ــ يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالإيمان الصحيح العميق لإنسان مقدس لله ممتلىء بروحه .

ولعل الله فى حكمته أراد أن يترك لكل إنسان أفق الفكر ليتصرف فى حدود الإرادة السماوية . ولِمَ لا يستخدم الله طاقات الإنسان الفكرية والعملية والعاطفية التى خلقها فيه ؟ يدفعنا هذا إلى مواجهة حقيقية للموقف فى المسيحية . إن إرادة الله بالنسبة لسلوك الفرد قد لا يتحتم أنها تكون حرفية تنطبق على كل إنسان . فإن أحس إنسان بأن سلوكاً ما لا يتفق معه ومع إيمانه فإن هذا السلوك قد « يوافق » غيره . فلا يتحكم فى ضميره فرد آخر ، وطوبى لمن لا يدين نفسه فيما يستحسنه . هذا السلوك فى حدود واضحة ، أى أنه لا يجوز أن يستخدم إنسان الجسد فرصة للأهواء والشهوات .

من هذا نرى أن إرادة الله معلنة فى الكتب المقدسة أساساً . أما حرفيات السلوك اليومى فإن إرادة الله فردية شخصية ، ترتبط أساساً بخطة الله لحياة الفرد . إذ يعمل الله فى حياة الفرد وسلوكه اليومى ، ليسلك حسب المسرة

الإلهية (فيلبى ٢ : ١٣) . بل إن الفكر المتجدد هو الأساس الرئيسى الذى تبنى عليه معرفة مشيئة الله فى السلوك اليومى . وفى ذلك قال بولس (رومية ١٢ : ٢) « تغيروا عن شكلكم ... لتختبروا ما هى إرادة الله ؟ » .

إن إرادة الله المعلنة فى الكلمة الحية باقية وتعيش أبد الدهر . إلا أن معلنات الله للمؤمنين تتصل بحياتهم اليومية : هل يقبل المؤمن عملاً معيناً ؟ هل يجيب على موقف معين ؟ كيف يحل مشكلة من يختار شريكة (أو شريكاً) لحياته ؟ كيف يعاون ابنه معاونة أفضل ؟ ما هى حرفة الحياة التى يختارها ؟ ما هى إرادة الله للإنسان فى موقف شائك ؟

إن إرادة الله المعلنة فى السلوك اليومى تعطى الفرد آمالاً أكبر وطموحاً أعظم ، لتكون له شركة أكبر مع السيد ، وليحظى بعناية السيد ورعايته ، ولينمو فى حياة أرفع وأسمى[1] .

---

(1) Cady H . Allen . The Guidance of God . Ph . : Westminister Press . 1968 . p . 55

٥

ما العلاقة بين خطة الله وحرية الإنسان ؟

خلق الله العالم كما حدثنا كاتب سفر التكوين بمطلق الحرية والإرادة . خلق الله كل شيء ، وجعله كما أراد هو وحده . خلق آدم وخلق له حواء . خلق الحية كما خلق النبات . لقد كان حر التصرف بلا قيد يحد من تصرفاته .

وعندما خلق الإنسان ، خلقه على صورته . معنى ذلك أنه خلق الإنسان متمتعاً بقدر وافر من الذكاء وبقدر كاف من الحرية . وهنا نجد الفرق بين الإنسان والحيوان ، فالإنسان ذكى حر الإرادة . ثم أحال الله للإنسان مسئولية إدارة الكون والسيادة على الخليقة كلها . وبذلك صار الإنسان « كائناً أخلاقياً » .

إن الصراع الواضح فى بدء خلق الإنسان يثبت هذه الحقيقة : الجنة تجمع آدم وحواء ، إحساسات بالخوف من الموت ومن الحية بعد أن تحولت إلى شيطان ، صراع وألم ، خضوع المرأة للحية وخضوع الرجل للمرأة ، ظهور عادة لبس الملابس ... كل هذه الصفات أساسها أن الإنسان كائن أخلاقى . وعلى هذا الأساس برز صراع إرادة الإنسان مع إرادة الله ، واستمر هذا الصراع فى حياة البشر حتى اليوم .

لقد خلق الإنسان على « صورة الله » . فقد أخذ الإنسان صفات من صفات الله . فالإنسان ذات حرة ، له كيانه وشخصيته . له حرية التصرف والحركة . وعندما أعطاه الله سلطاناً على الكائنات صار الإنسان قوة لا يستهان بها . لقد أخذ الإنسان سلطات واسعة من الله يدير بها الكون . لذلك ليس غريباً أن تطأ قدم الإنسان أرض القمر ، وليس غريباً أن يتقدم العالم إلى ما هو أعظم من ذلك . بل لقد أعطى الله الإنسان أن يعمل « الأعمال التى عملها هو (المسيح) وأعظم منها » .

خطة الله لحياة الإنسان :

إن حياة الإنسان أشبه ما يكون بلوحة فنية رائعة رسمتها أنامل فنان مطبوع

لتكون برنامجاً للإنسان يعيش بمقتضاه .

لقد خلقنا الله بعد أن رسم برنامجاً واضحاً لحياتنا ، يرشدنا إليه بطريقة منظورة ليعلن مجده فينا . « لأننا نحن عمله ، مخلوقين لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها . (أفسس ٢ : ١٠) . هكذا تعامل الله مع ابرهيم ويعقوب وموسى وصموئيل وغيرهم . عندما تقابل يوسف مع إخوته الذين باعوه وكانوا يحسون بالألم للشر الذى صنعوه به ، قال يوسف لهم : « ليس أنتم أرسلتمونى إلى هنا بل الله » . فإن الله رغم شر إخوة يوسف ، الذين باعوه ، وعبروا عن كراهيتهم له بشتى الطرق ، إلا أن الله استخدم هذه الخطوات لتنفيذ خطته . ولعل حياة يسوع تتوج هذه القائمة إذ قال : « لهذا جئت إلى العالم » . لقد حرص أن ينفذ إرادة الله الآب فى حياته عندما قال : « ينبغى أن أكون فيما لأبى » .

لقد كان بولس رائعاً وهو يصور لنا خطة الفداء الإلهى للبشر : خلق الله البشر خلقاً جديداً ، ولم يتركهم ، بل أعد لهم سبيل الأعمال الصالحة ليسلكوا فيها . فإن قول الرسول بولس لشعب أفسس : « إننا نحن عمله » يعنى أننا ــ إن أردنا ــ يمكن أن نكون تحت « صياغته » الكاملة . إن خطة الفداء تشمل « التشكيل » الكامل لشخصية جديدة للإنسان . كما أن قول بولس عن « أعمال صالحة » يشير إلى إطار حياة المؤمن كلها ، بعد أن يخلق خلقاً جديداً فى المسيح يسوع . أليس مطمئناً لنا ، أن الله فى تدبيره السابق خطط لحياتنا خطة كاملة .

لقد أعد الله لكل واحد عملاً خاصاً واتجاهات خاصة . قد ننظر إلى الأعمال العظيمة أنها مخططة بإرادة الله ، ونحتقر الحياة العادية . والواقع أن الأعمال العظيمة قد يكون الوصول إليها أسهل من الحياة العادية المستمرة المتواصلة الفعالة . و لا يجوز أن ننسى الأعمال العظيمة تتولد دائماً من الحياة العادية . تأمل داود بين أغنامه وأليشع خلف محراثه ، ونحميا يقدم كأسه ، وحنة تحمل بين جنبيها قلباً حزيناً ... كل هؤلاء أناس متواضعون ،

اكتشفوا برنامج الله لهم وحققوه . بل هناك أناس عاشوا عيشة عادية ، واستمروا فيها وأدوا رسائل عظيمة كأناس عاديين . لم تلمع أسماؤهم بين الكواكب المشهورة ، لكنهم كواكب فى جلد السماء ، ولهم أهميتهم التى تفوق فى فاعليتها الكواكب الكبيرة ظاهرياً . هناك برنابا الذى قدم شاول للكنيسة ، ومتى الذى لم يظهر منه سوى سفره الذى كتب متأخراً ، واندراوس الذى أتى ببطرس للمسيح ، وغير ذلك كثيرون فى موكب التاريخ الذين اكتشفوا إرادة الله فعرفوا أن الله سبق فأعد لهم برامج حية مباركة لحياتهم ، فساروا على نهجها .

إن خطة الله لحياة الإنسان تتناسب مع مواهب الإنسان واستعداداته الفطرية والاكتسابية . إنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمقدرات الإنسان الفعلية ، وتبدأ منها . ومن هذا نرى ارتباط الخلق بالحياة كلها . فلقد « خلقنا » الله لأعمال صالحة سبق أن أعدها لنا . فإنه مع الخلق سبق الله فأعد للإنسان برنامج حياته . ولهذا جاءت إرادة الله وخطته لكل فرد ، خطة حكيمة عاقلة ، واضحة المعالم ، محددة الاتجاه ، صالحة لحياته .

بل إن الله ــ لأنه يهتم بالإنسان ــ نظم له برنامجاً خاصاً ، ليكون له هدفاً يسمو إليه . إن هذا الاهتمام لهو وليد حب الله العجيب للإنسان ، ذلك الحب اللامحدود اللانهائى .

عندما تحدث الله مع موسى عن صناعة خيمة الاجتماع وأدواتها قال له : « إصنعها على مثالها الذى أظهر لك فى الجبل (خروج ٢٥ : ٤٠) . » فإن الصورة الكاملة لما يريده الله موجودة ، ولكن المهم بالنسبة لموسى هو أن يكتشف هذه الصورة ، ثم يطابقها على ما يعمل .

ولا شك أن هناك « مثالاً » لك ، يريدك الله أن تطابقه على حياتك . والمهم أنك تكتشف هذه الخطة . قد تظهر لك بكاملها دفعة واحدة ، أو قد تظهر تدريجياً . ولكن كيف تظهر ؟ وكيف تكتشفها ؟

ما هو مجال الإنسان بازاء خطة الله لحياته ؟

ولعله يتبادر إلى ذهنك مباشرة أن الله بذلك حدد للإنسان سلوكه ومسيرة حياته مسبقاً ، وهو يرغم الإنسان على الخضوع له . ليس هذا صحيحاً ، فالإنسان حر ، من حقه أن يرفض برنامج الله ويسلك غيره . وقد فعل الإنسان ذلك ، فسار فى طريق الهلاك ــ للأسف الشديد .

إن الإنسان محدد بفكره ، وبمعرفته للمستقبل . بل أن إرادة الله للإنسان مرتبطة بكل مواهبه واستعداداته . إن الله الذى خلقنا وهو يعرفنا معرفة شاملة كاملة ، هو الذى وضع خطة حياة لكل إنسان . إنه لا يرغم أحد عليها ، ولكنه يريد بإخلاص أن ينهج الإنسان هذا الطريق . قال إرميا النبى (١٠ : ٢٣) : « عرفنى يا رب أنه ليس للإنسان طريقه . ليس للإنسان أن يمشى أو يهدى خطواته » .

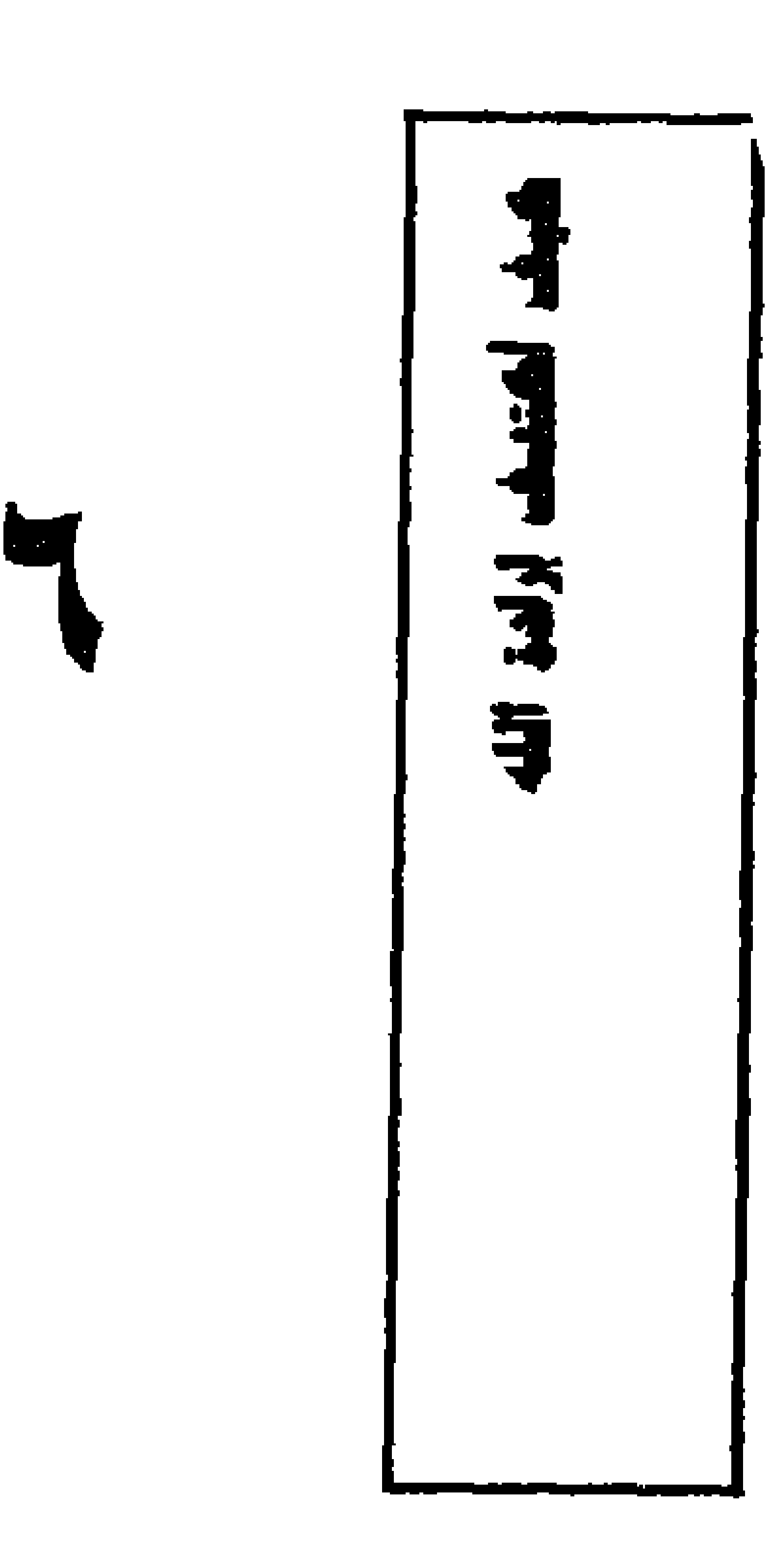
إن المؤمن الحقيقى يجد لذة فى أن يكتشف إرادة الله بالنسبة له ، وأن يتبعها . ولعله يقول مع كاتب المزمور (٤٠ : ٨) « أن أفعل مشيئتك يا إلهى سررت » . ولعله يقول أيضاً مع الصلاة التى علمها لنا المسيح « لتكن مشيئتك ، كما فى السماء كذلك على الأرض » . وعندما يختار الإنسان طريق الله وخطة الله له ، يكون ذلك بكامل حريته ودون ضغط . يظن بعض الناس أن إرادة الله حتمية وستتم على أى حال ، فيترددون فى طلب معرفتها . ويتكلم بعض الناس عن إرادة الله بطريقة الخنوع والحزن ، كما لو كانت فرضاً يرغمون عليه رغم أنفسهم[٢] .

إن تعليم المسيح هو فى أن إرادة الله ليست جامدة ، مفروضة على الإنسان ، بل أنها تمثل الآمال الصالحة لحياة الإنسان وبنيانه ، وله أن يقبلها وله أن يرفضها . قال السيد له المجد « هكذا ليست مشيئته أمام أبيكم الذى

---

(2) Ibid ., pp . 53 – 55

فى السموات أن يهلك أحد هؤلاء الصغار » (متى ١٨ : ١٤) . كما قال : « وهذه مشيئة الأب الذى أرسلنى أن كل ما أعطانى لا أتلف منه شيئاً بل أقيمه فى اليوم الأخير (يوحنا ٦ : ٣٩) . إن الإنسان الحر ، يجد فى إرادة الله أهداف حياته وأماله المتفائلة سواء كانت على مرامه أو كان من الصعب عليه أن يتقبلها . وكلما تدرب إنسان الله على إدراك إرادة الله ، كلما وجد سروراً فيها ، حتى وإن رافق تحقيقها انسكاب الدمع .



٦

ما هو مكان الألم والشر فى الارادة الإلهية ؟

إننا ونحن نفسر إرادة الله ، نحاول أن نفهمها فى ضوء الكلمة الحية . لكننا لا نفهم الله كلية ولا يمكننا أن نقول إننا وصلنا — أو نصل — يوماً ما لمعرفة إرادة الله الشاملة الكاملة ، ولكننا نحاول . ولذلك ونحن بصدد تفسير إرادة الله ومدلولها فى هذا العالم ، فإننا نحاول أن نفسر الحوادث بمنطق سليم ينطبق على كلمة الله .

لقد تعددت طرق تفسير دور إرادة الله فى حياة البشر بكل محتوياتها . فإن المفسرين يحاولون توضيح مكان الله من الشر والألم الذى يحدث فى العالم . فإنه ليس من السهل أن نرى أن الله المحب مصدراً للشر والألم فى هذا العالم .

خلق الله العالم وكونه ووضع نظمه وقوانينه ، وتركه يسير ويعمل ، والعالم نتيجة لذلك يعيش فى سعادة وتعاسة ، فرح وحزن ، فى نهار وليل ، نور وظلمة ، فى طريق الإيمان وطريق العصيان . ولعل هذه ترتبط أساساً بحرية الإنسان . فللإنسان أن يختار ما يريد ، كما أن الطبيعة تغطى الشمس بخيراتها والبراكين والزلازل ، والأعاصير بكل شرورها . ومع ذلك فإن الله ليس هو أصل الشر والألم . وفى ضوء العهد الجديد ، لسنا نرى أن الله « يزور » العالم عن طريق الكوارث ، كما فهم العهد القديم ، « فإن الله » — فى ضوء مفاهيم العهد الجديد ، وفى الإعلان الصادر فى شخص الرب يسوع المسيح — ليس قاضياً ، وليس منتقماً جباراً ، ولكنه « محبة » . إن إرادة الله تظهر فى تصرفات الحب والرحمة . إن الله نور وليس ظلمة . إن العقاب ظلمة ، وكوارث الدهر ظلمة ، ولا يمكن أن تكون من الله .

يناقش بيتر بيلز[٣] إهتمام الله بالعالم والفرد ، مؤكداً إهتمام الله بالفرد باعتباره ركناً أساسياً من الإيمان المسيحى . وفى هذا يقول إنه يعتقد أن الله خلق العالم ، ووضع له نظمه وقوانينه . إن الله لم يخلق العالم ونظمه

---

(3) Peter Bailz , Prayer and Providence . London : SCM , 1968 . pp .51 - 72 .

ليتحكم فيه كل لحظة ، ويلاشى هذه النظم حسبما شاء ، ولكنه خلق العالم ونظمه وقوانينه الدقيقة ، وتركه يسير وفق هذه النظم . إنه لم يدع العالم يعتمد عليه إعتماداً كلياً فى كل حركة وخطوة ، بل تركه ينطلق وحده . وبذلك فإن العالم يعيش كما خلقه الله ، له استقلاله ونظمه الثابتة . لقد أراد الله أن يكون الكون هكذا : نهاراً وظلمة ، سلاماً أو بروقاً ومطراً ، زلازل وبراكين إلى غير ذلك ، لقد أراد الله العالم كذلك . إنها إرادته أن يعيش الإنسان تحت هذه القوانين والنظم ، التى بدونها لا يمكن للكون أن يسير . لقد أراد الله بذلك أن ينشيء هذا اللون من الصراع المستمر فى الحياة الإنسانية ، صراع الإنسان ضد المخاطر والمشكلات وبذلك فإن عقل الإنسان وعواطفه وآماله ومخاوفه هى محركات التاريخ الكبرى ، لأنها تواجه هذه الصراعات من يوم إلى يوم .

لقد كتب الله مسرحية العالم ، ووضع نظامها ، وأعطى الممثلين أن يقوم كل واحد بدوره(٤) ولكنه وضع طاقته وإهتمامه فى إعالة الإنسان وإرشاده . أوليس الإنسان هو الهدف الأول الرئيسى من خلق الكون كله ؟ لقد كان إعداد الفداء على الصليب مكلفاً جداً . وكان الصراع الحقيقى الجاد — ولا زال — بين الله والشيطان عنيفاً ومؤلماً ، وهدف الشيطان هو إبعاد الإنسان عن معرفة الله الصالحة بالنسبة له .

ولعلنا نقف بحيرة أمام هذا التناقض الظاهرى . كيف يكون الله مصدر الخير فقط ؟ وربما لا نزال نتساءل عن تغيير ظواهر الشر والألم فى الطبيعة ؟ وكيف يمكن أن تكون هذه الطبيعة تحت سلطان الله ، وليس لله سلطان عليها ؟ أين سيادة الله وربوبيته ؟ وإن كان الشر والألم من الله ، فأين قداسته ؟ وهل هو قدوس ؟ وهل يستحق منا أن نعبده ونخضع له ؟

---

(4) Ibid ., P . 88

ولعلنا نتساءل أيضاً هنا : هل الله الذى ينشىء عالماً على هذا النحو ، إله صالح ؟ وهل يصح لنا أن نعبده ؟ لا شك أنه صالح . فإن قصد الله هو أن ينبع الصلاح من داخل الإنسان وبإرادته الحرة ، لا أن يفرض الصلاح عليه . إن الله الذى كتب مسرحية العالم كله وترك العالم يدور بنظامه الذى وضعه له ، لم يترك المسرحية وحدها بكاملها ، بل تدخل يعمل فى العالم عن طريق علاقته الشخصية بالبشر . ولعل هذا كان الدافع الرئيسى الذى يجعله يرسل ابنه الحبيب إلى العالم ليحيا العالم به . ولتتكون عن طريقه علاقة « شخصية » و « مباشرة » بينه وبين الإنسان .

لقد خلق العالم ووضع نظمه كما سبق الشرح ـــ والعالم فى خضوعه لهذه النظم ـــ يجتاز مراحل عديدة منها الخير ومنها الشر ، ومنها ما يفيد ويضر فى وقت واحد . فالمطر قد يفيد صاحب الأرض الزراعية ولكنه قد يضر شيئاً آخر . إن كل إجراءات الطبيعة هى إجراءات الله . ولكن ما ينتج من عوامل الطبيعة فهو إرادة الله ـــ ولكنها إرادة غير مباشرة . أو إن شئت فسمها إرادة الله المرتبطة بالقوانين والنظم الوضعية التى وضعها هو فى هذا العالم . ولهذا فإن إرادة الله غير المباشرة ترتبط بالطبيعة ، وبالخلق ، وبالتاريخ .

ألم يخلقنا الله بشراً نتكون من أجساد من لحم ودم ؟ لذلك إن سقط إنسان من الدور الخامس ، تكسر ومات ! ولكن لو خلقنا الله من مطاط لكان الوضع مختلفاً ... ولكن هكذا خلقنا الله . فإن سقط إنسان من الدور الخامس لا بد له أن ينكسر ـــ ولكن سقوطه ناشىء عن سبب ما . ربما مال باندفاع فزاد ثقل الرأس ، فاختل توازن الجسم فسقط . أو ربما أراد هو الانتحار ، فختم حياته . وإلى جانب التفسير البشرى ، فإننا لا يمكننا أن نقول إن سقوط هذا الإنسان من الدور الخامس هو إرادة الله القصدية لأن الله لم ولن يقصد ذلك ، ولكنها إرادة الله غيرالمباشرة . فإن طريق خلق جسم الإنسان وتشكيله هو إرادة الله . كذلك فإن قانون الجاذبية الأرضية

من النظم التى وضعها الله فى الطبيعة . فالجاذبية الأرضية تجتذب الإنسان إليها بسرعة هائلة .

ولعلنا نكتشف أن التوريث صفة وضعها الله فى إنجاب النسل ، لهذا فإن انتقال بعض الأمراض الوراثية أو بعض صفات الجسد الوراثية من الآباء للأبناء وأبناء الأبناء وهكذا ، صفة طبيعية . إن سبب وجودها هو الوراثة وإرادة الله فيها ليست قصدية ، وإنما غير مباشرة .

كما أن ظروف التاريخ تلعب دوراً هاماً فى حياة البشر . إن الطالب يرغم على دخول كلية معينة تحدد له مستقبل حياته ، مرتبطاً بالمجموع الذى يحصل عليه فى الثانوية العامة . وهناك شخص آخر ظروفه الاجتماعية حرمته التعليم فدفعته فى اتجاهات أخرى . فهل ظروف التاريخ كالبيئة والمجتمع وقوانين الدولة ونظمها وسياستها تؤثر على حياة الناس ؟ لاشك أنها تؤثر . فهل معنى ذلك أن الله غير موجود ؟ أو أنه غير مكترث ؟ أو أن ما يحدث يحدث رغماً عنه ؟ كلا .

ألم يقل إشعياء عن الله « مصدر النور » وخالق الظلمة ، صانع السلام وخالق الشر . أنا الرب صانع كل هذا (٤٥ : ٧) . إنه لا يقصد هنا بالشر « الخطية » بل يقصد به الظلمة وما هو ضد السلام . ولعله كسؤال أيوب : « الخير من الله نقبل والشر لا نقبل » ؟ وكان يقصد بالشر — ليس الخطية — بل المرض والألم . فالمرض والألم شر ... ليس فى إرادة الله القصدية ، بل ضمن إرادته غير المباشرة . إن دور الله — فى كل هذا — ينبى على أساس أنه خلق العالم بكل ما فيه من متناقضات : من نور وظلمة ، من سعادة وتعاسة — إلى غير ذلك .

إن إرادة الله القصدية تشمل كل ماهو صالح ، كل ما هو فاضل ، كل ما صيته حسن ، كل ما هو مفيد للإنسان . أما الشر والألم فإن كان الله لا يقصدهما للإنسان ، لكنه يسمح بهما ، إما لأنهما نتيجة القوانين الوضعية

التى وضعها الله فى العالم ، أو لأنها نتيجة الحرية التى منحها الله للإنسان .

إلا أن إرادة الله لا تقف عند هذا الحد . فإن إرادة الله تلعب دوراً هاماً فى العلاقات الشخصية المباشرة مع البشر . وفى هذا تتكون علاقة الله مع الأبرار أو الأشرار ، فإن شمسه تشرق على كليهما وتتدخل عناية الله — حسب مقاصده السامية التى لا يدركها البشر — فى مواقف معينة . فقد يحول الله الشر إلى خير ، كما حدث مع يوسف ، فى قوله لأخوته : « أنتم قصدتم بى شراً ، أما الله فقصد به خيراً » . فإن مقاصد أخوة يوسف كانت للشر له شخصياً ، ولكن الله حول الشر ذاته إلى خير .

ولعل هذا التغير الذى تم بعد أعوام ، كان يثير فى نفس يوسف السؤال : لماذا يارب ؟ كان على يوسف أن يصبر وينتظر ذلك اليوم الذى فيه يعلن الله قصده النهائى . مهما انتصر الشر والألم ، فإن الخير سينتصر فى النهاية ، مهما انتصر الشيطان مبدئياً ، فإن الله سينتصر نهائياً .

إن كل إنسان — مؤمناً كان أو شريراً — يدرك أماكن معينة فى حياته ظهرت فيها عناية الله معه بصورة واضحة قوية . وحول هذه العلاقة تدور كل المحاولات التى بها يريد الله أن يكشف إرادته للإنسان ، أو يصل الإنسان إلى اكتشاف إرادة الله له . إن هذه العلاقة الشخصية هى التى نستخدم لها تعبير « الشركة مع الله » . إلا أن الله يكشف إرادته أكثر لمن تغيروا عن شكلهم بتجديد أذهانهم (رومية ١٢ : ٢) ، والذين سلموا أنفسهم وعقولهم لله ليعمل فيهم أن يريدوا وأن يعملوا ما يتفق مع مسرته (فيلبى ٢ : ١٣) .

لسنا ندعى أننا بهذا قد شرحنا الحل الكامل لمكان « الشر والألم فى الإرادة الإلهية » . إن كل هذه الشروحات « محاولات » بشرية لفهم الله وشخصيته . إن الله — فى المفهوم المسيحى — نصل إليه عن طريق الفكر والاختبار معاً . لقد حاولنا فى الصفحات الفائتة أن نصل بإخلاص إلى فهم

شخصية الله وعلاقتها بتواجد الشر والألم فى العالم ونرجو أن نكون قد وصلنا .

٧

هل « الواقع » هو إرادة الله ؟

هناك من يقول لنترك الأمور على أعنتها كما تجرى ، فإن الله يسيرها كما يشاء . ثم يقول لك إن كل ما تم هو إرادة الله . إنه قسمة ونصيب .. والمقدر لا بد أن تراه العين . والمكتوب على الجبين لا بد أن يتم ويتحقق وعندما تتم الأمور كيفما تمت ، يقول : « من عند الرب خرج الأمر » .

وهناك من يعتقد أن كل زواج يتم هو من إرادة الله ، وإن كل حادث يتم هو قصد سماوى ، شراً كان أو خيراً . وفى مرات يصل إلى شخص خطاب فى موضوع معين ، ثم يقابله شخص ويكلمه عن نفس الموضوع ، ثم يحضر اجتماعاً كنسياً ويستمع إلى ذات الموضوع ، فيقول : « الرب يكلمنى » . وفى مرات أخرى يسير إنسان فى برنامج معين ويواجه مشكلات عديدة ، فيتساءل : هل الرب راض على هذا العمل ؟ لو كان راضياً لماذا سمح بهذه المشكلات ؟ولماذا يتركنى أواجهها ؟ وأحياناً لا يواجه إنسان مشكلات فى طريق معين فيعتقد أن الأمور سهلة لأن الرب معه ، موافق ، على كل ما يحدث .

وفى مرات عديدة ، يقول إنسان : سأترك كل الأمور تسير كما هى فالنتيجة التى أصل إليها هى إرادة الله الحتمية .

ليست كل الحوادث الجارية دائماً مخططة بإرادة الله القصدية ، وليس كل ما يجرى فى العالم هو من صلب إرادة الله القصدية . إنه يسمح بها ، لأنه يسمح للإنسان أن يمارس حريته ، وفى ممارسته لحريته قد لا يختار ما يتفق مع إرادة الله . إن الإنسان الذى يرتكب الشر لا ينفذ إرادة الله بل يعارضها . ليس كل زواج زواج إلهى . وليس كل نجاح أو رسوب فى الامتحان إرادة إلهية محضة ، فالعنصر البشرى يلعب دوراً كبيراً وهكذا شاءت إرادة الله أن يكون الإنسان حراً . إن الله يسمح للإنسان أن يتصرف بحريته ، لأنه يقدر هذه الحرية .

لقد وضع الله خطة حياة لكل فرد ، إذ حدد — بمقتضى الفداء الإلهى

الكامل ـــ مسلك الإنسان . لكنه ترك للإنسان الحرية الكاملة أن يختار هذا المسلك أو أن يرفضه .

يحدثنا بولس الرسول عن نظرية « القضاء الإلهى » والتى ليس لنا مجال متسع لشرحها . فإننا نخضع لإله عظيم جبار لكنه عاقل ، يحب الإنسان ويحترمه ، ويعطيه حرية تحديد المصير ، وتقرير نوع السلوك .

إن الإيمان المسيحى يعتمد على إرادة هذا الإله العاقلة المهدفة المجيدة ، التى تسعى لخير الإنسان وفى هذه النظرية يحمل الإنسان مسئولية كاملة عن كثير من مجريات الحوادث التى تمر بحياته . إن الإنسان ليس مسيراً يخضع لقوة تسيطر عليه وتدفعه لارتكاب الشر وعمل الخير معاً .

إن التفكير القدرى لا يتفق إطلاقاً مع الإيمان المسيحى فلسنا نترك أنفسنا للواقع ، نعمل ما نشاء ، ثم نضع اللوم على الله . فإن الله برىء من كثير مما يحدث فى عالمنا . هناك فرق كبير بين الإيمان بالقدر والإيمان « بالله » . يظن المؤمنون بالقدر أن هناك طاقة جبارة عشوائية تقف وراء الطبيعة ، ترزق من تشاء ، وتحط من تشاء دون اكتراث بالناس ولا بالقيم ، وبلا أهداف . لا يجوز لعالم خلقه الله أن تديره طاقة غير عاقلة كهذه . بل إن وجود القدر ينفى وجود الله . لهذا فليس من المعقول أن نصدق بوجود القدر .

قد يترك إنسان الأمور تتم فى المكاتب الحكومية أو غيرها من إجراءات بيروقراطية ـــ أيا كانت ، صالحة أو طالحة ـــ ثم يفسرها أنها إرادة الله ؟ ليس كل ما يتم من إرادته القصدية ، وليس كل الواقع الذى نحياه من إرادته القصدية . إن بعض التصرفات التى تحدث يسمح بها الله . لكنها قد لا توافق إرادته . إن إرادة الله لا تمنع بذل الجهد ، والسهر ، ووضع الخطط والبرامج بكل حكمة ومراعاة الظروف ، والاحتراس من العثرات والتفكير الخلاق إلى غير ذلك .

إلا أن البعض يظنون أن الله يكلمهم عن طريق مشكلات ومعطلات تعترض سبيلهم . ونحن نتساءل : هل يمكننا أن نحكم على أن شيئاً ما يتفق مع إرادة الله بقدر المشكلات التى تواجهه ؟ فلو زادت المشكلات قلنا إن الأمر يتعارض مع إرادة الله ، وإن قلت المشكلات قلنا إن الأمر يتفق مع إرادة الله تعالى ؟ هل نحس أن الأمور التى تسير بهدوء وسلام وتتم فى وفاق هى دائماً إرادة الله ؟

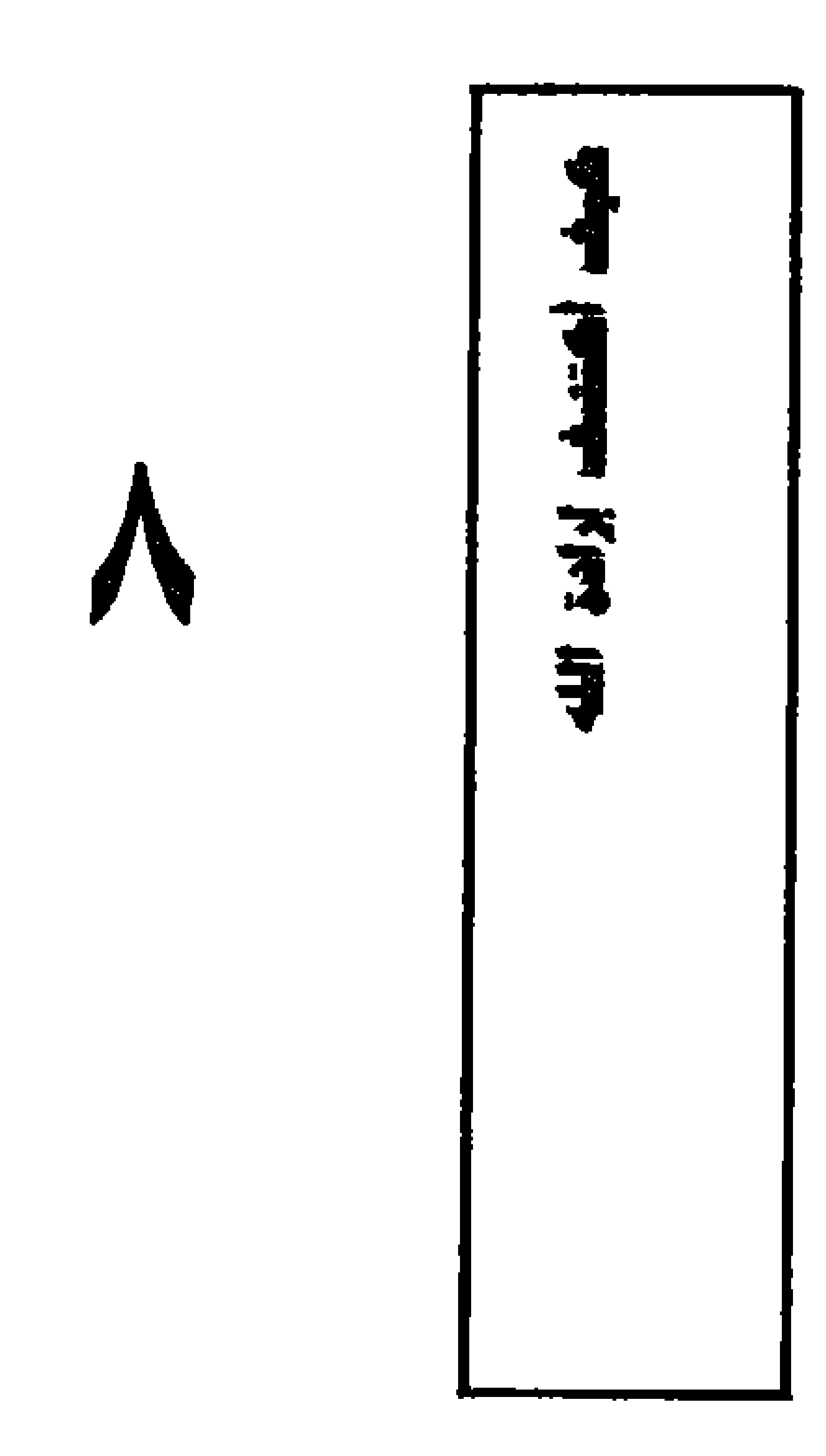
إن الأعمال التى تتفق مع إرادة الله ليست دائماً خالية من المشكلات ، فإن حياة بولس الرسول كانت مليئة بالمشكلات وكان طريق الله بالنسبة له وعراً فى مرات عديدة . كما أن وجود المسيح مع التلاميذ فى البحر لم يمنع العواصف . ومعظم معجزات المسيح جاءت متأخرة ، فإن المشكلات والآلام التى تتسبب عنها تعيش فى نفس الوقت الذى يكون المسيح فيه واقفاً إلى جانب أتباعه .

إن بعض المشكلات والمعطلات جزء طبيعى من الطريق الذى يختاره الإنسان ، وبعضها الآخر ناشىء عن فساد المجتمع وعيوبه . وإن كان هذا لا يمنع أن الله أحياناً يستفيد من المعطلات والمشكلات ليعاون الإنسان على أن يدرك شيئاً من إرادته .

من هذا نرى أن وجود مشكلات أو عدمه لا يحدد إذا ما كان المشروع يتفق مع مشيئة الله . فإن طريق الصليب هو الطريق الصادق الذى ينطبق على مشيئة الله ، ومع ذلك كان مريراً ، ومليئاً بالمشكلات . كما أن الله أحياناً يعطينا أن نحقق أهدافنا بالعرق وبالجهاد أو على طريق ملىء بالأشواك وأحياناً بغاية الراحة والهدوء .

نستنتج من هذا أننا لا نعرف مشيئة الله عن طريق وجود مشكلات أو عدمه . ولعله يتبع ذلك أن الألم لا يعنى أن ما نعمله هو ضد إرادة الله ، فقد يتفق معها .

فمثلاً ، قد تختار شريكة حياتك . وقد تكون هناك مشكلات عديدة فى زواجك منها . إن وجود مشكلات لا يعنى أن اختيارك خطأ ، أو أنه يتعارض مع الإرادة الإلهية . قد يكون اختيارك صواباً أو خطأ ، لكن وجود مشكلات ليس دائماً معناه أن الاختيار خطأ . ينبغى أن تتحقق من أن الاختيار صواب بطريق آخر .



هل وسائل الصدفة تكشف لنا إرادة الله ؟

يعتمد البعض على وسائل ملموسة محسوسة للوصول إلى إرادة الله . وجدير بالذكر أن علاقة الله بنا وعلاقتنا نحن بالله هى علاقة « الإيمان » ، والإيمان لا يستند إلى المحسوسات والملموسات ، بل يعتمد على الإيمان ، والإيمان ثقة فى غيرالمنظور .

يحاول الإنسان أن يكتشف إرادة الله بكافة الوسائل والطرق . وهناك طرق بدائية ساذجة ، يسعى بها الإنسان إلى معرفة مقاصد الله الحية بالنسبة له ، لذلك يخطىء السبيل ، إن حياة الإنسان تعتمد إلى حد كبير على اكتشافه لهذه الإرادة السامية . فلو سار فى متاهات ضل طريقه وهو يظن أنه فى طريق الله ، وهذه كارثة كبرى . سار شاول الطرسوسى فى طريق مخلص جداً ، وفى إخلاصه اضطهد المسيحيين بوحشية قاسية ، ظناً منه أنه يخدم الله ، ولكنه كما قال عن نفسه ، إنه فعل بجهل فى عدم إيمان .

ونحن نحاول هنا أن نستعرض بعض الوسائل الساذجة التى يمارسها الناس ، عن إخلاص ، أو عن جهل ، ونحاول أن نحلل كل موقف على حدة ، محاولين أن نكتشف جوانب الصواب أو الخطأ فى كل منها .

مكان الحظ فى حياة الفرد :

ونحن ندرس خطة الله لحياة الإنسان ، لا بد لنا من جولة فكرية نحاول أن نقارن فيها بين مخطط الله للإنسان وبين ما يسمى بالحظ .

اشتهرت منذ قديم الزمان عبادة الحظ ، أو بالحرى الخلط بين عبادة الإله الحى والحظ فى عبادة واحدة .

ولقد عبر إشعياء عن هذه الحقيقة فى قوله : « أما أنتم الذين تركوا الرب ، ونسوا جبل قدسى ، ورتبوا للسعد الأكبر مائدة ، وملأوا للسعد الأصغر خمراً ممزوجة » (إشعياء ٦٥ : ١١) . يغلب على الظن أن السعد الأكبر والسعد الأصغر إلهان من آلهة البابليين ، ومنهم انتشرت هذه العبادة فى أماكن عديدة . يشار إلى السعد الأكبر أنه « جاد » فى اللغة العبرية ،

ومنه جاءت التسميات مثل بعل جاد (يشوع ١١ : ١٧) ومجدل جاد (يشوع ١٥ : ٣٧) . وقد ظهر فيما بعد فى كتابات الإغريق[٥] ، وهو إله الحظ الحسن الأكبر . أما السعد الأصغر فهو « منى » فى اللغة العبرية وهو رمز الحظ الحسن الأقل . ويرجح أن « منى » هو الإله الذى ورد اسمه فى كتابات المصريين القدامى ، كما يرجح أنه هو الذى ورد اسمه فى القرآن « مناه » . ويرجح أن اسم جاد يرتبط بالكوكب جوبيتر بينما يرتبط منى بالكوكب فينس . وقد أشار بعض المؤرخين بأن جاد يقارن بإله « رع » فى مصر قديماً : « جاد » رمز الحظ و « منى » رمز القضاء . وكان من أخطر ما عمله اليهود أنهم ربطوا عبادة يهوه بعبادة السعدين الأكبر والأصغر[٦] .

ان « الحظ » — فى نظر الناس قوة فوق طبيعية ، تتصرف بعشوائية عجيبة ، ترفع إنساناً وتذل آخر ، دون خطة أو هدف . إن « الحظ » لا يتطلب مقاييس شخصية أو اجتماعية للسلوك الإنسانى ، كما أنه يفترض أن الإنسان مقيد ومسير ، لا حرية له ولا كيان[٧] . وفى هذا خطورة كبرى على حياة المجتمع وكيانه . ولعله من الواضح فى قول إشعياء النبى أن أولئك الذين يعتمدون على الحظ يتركون الرب وينسونه ، فليس للحظ مكان فى الإيمان الحق .

وسائل عشوائية :

تعتمد الوسائل العشوائية على الصدفة . منها أن يفتح الإنسان الكتاب المقدس صدفة ، ويضع أصبعه على مكان ما ، ويعتقد أن هذه الآية التى

(5) Arthur Buttrick . The Interpreters' Bible . N .Y . : Abingdon , 1939 . Vol . 5 . p . 751

(6) C . F . Keil . Biblical commentary on the Prophecies of Isaiah . U . S .A . : Eerdmans , 1963 . p . 486

(7) Arthur Buttrick , op . cit ., p . 751

يشير إليها أصبعه هى صوت الله له . هذه طريقة عشوائية . قد تصيب مرة ولكنها تخطىء عشرات المرات . إفرض أنك وضعت عملات مختلفة فى جيبك وأردت أن تخرج من جيبك عملة معينة ، دون أن تتحسس العملات أو أن تميز أحجامها ، فإنك إن صليت قبل أن تخرج العملة من جيبك ، كيف تريد أن الله يهتم بالإجابة على مثل هذه الصلاة ؟ إنها طريقة بدائية نسبة إخفاقها أكبر بعشرات المرات من نسبة صدقها .

قد يقول شخص ــ ببساطة كاملة ــ إنه تأكد أن الله تحدث إليه بهذه الطريقة . وأننى أتساءل : كيف تتأكد أن الله هو الذى كلمك ، وليس الصدفة ؟ إن الله يقدر بساطة البسطاء ، ويحاول أن يعاملهم على قدر فهمهم ، ولكن الله يريد الإنسان أن يفكر بأسلوب أفضل . إنه لا يريد أن يعتمد المؤمن على وسائل عشوائية ، قدر إهتمامه أن يعتمد المؤمن على التفكير الحى مع الله . هل يعيش طفل الإيمان طفلاً طوال حياته ؟ كما أنه ليس من الصواب أن نرغم الله على أن يكلمنا بوسيلة محددة معينة . إن الله يختار بنفسه الوسيلة التى يتحدث بها إلى الإنسان .

القرعة :

بدأت فكرة استخدام القرعة كوسيلة للإسترشاد البشرى فى عهد الرومان واليونان[8] وقد مورست القرعة فى العهد القديم . فقد « أمر موسى بنى إسرائيل قائلاً : هذه هى الأرض التى تقتسمونها بالقرعة ، التى أمر الرب أن تعطى للتسعة الأسباط ونصف السبط (عدد ٣٤ : ١٣) » . وقد تم ذلك فعلاً فى عهد يشوع إذ ألقى لهم يشوع قرعة فى شيلوه أمام الرب ، وهناك قسم يشوع الأرض لبنى إسرائيل حسب فرقهم (يشوع ١٨ :٩ ، ١٠) . كما يظهر أن إختيار شاول ملكاً تم بقرعة بين الأسباط والعشائر (صموئيل الأول ١٠ : ٢٠ ــ ٢٤) .

---

(8) Cady H . Allen . op .cit ., p . 16

وقد جاءت إشارات فى العهد القديم إلى الأوريم والتميم ، وهما كلمتان عبرانيتان معناهما : « أنوار وكمالات » إشارة إلى كمال الإعلان الإلهى ، وقد ورد الاسمان معاً فى العهد القديم ، وإن كانت كلمة أوريم قد وردت مرتين بمفردها (عدد ٢٧ : ٢١) و (صموئيل الأول ٢٨ : ٦) . ويرجح أن الأوريم والتميم حجران صغيران كانا يحفظان فى صدرة رئيس الكهنة (خروج ٢٨ : ٣٠ ولاويين ٨ : ٨) ، وكان الكاهن يستخدمها لإجراء قرعة مقدسة ، لمعرفة إرادة الله فى الشئون الكهنوتية أو السياسية القومية (عدد ٢٧ : ٢١ وصموئيل الأول ٢٨ : ٦ وعزرا ٢ : ٦٣ ونحميا ٧ : ٦٥) .

وقد استخدم تعبير « قضاء الله » لما يصل إليه الكاهن من أحكام عن طريق الأوريم والتميم (خروج ٢٨ : ٣٠) . ويظن أن الأوريم والتميم كانا شيئين صغيرين يستخدمان لإجراء القرعة بين الأحجار المقدسة التى كانت تحمل أسماء الأسباط على صدرة رئيس الكهنة . وقد أبطل اليهود استعمال هذه القرعة المقدسة فى فترة ما بين العهدين[٩] كما استخدم العهد القديم « الأفود » وهى كلمة عبرانية لا يعرف معناها على وجه التحقيق . وهى تنطبق على ثوب يشبه الصدرة وكان يلبسه رئيس الكهنة أثناء خدمة الكهنوت . وكان الثوب يصنع من لون الذهب واللون الأزرق والأرجوانى والقرمزى ، وكان يصنع من كتان رقيق ومبروم . وكان يثبت على الجسم بواسطة شريطين للكتفين من فوق ، وحزام من أسفل ، وعلى كل من شريطى الكتف حجر جزع منقوش عليه أسماء الاثنى عشر سبطاً . وكان يتصل بالصدرة بواسطة سلاسل ذهب . وكانت الصدرة تحتوى على إثنى عشر حجراً كريماً موضوعة فى أربعة صفوف وفيها القرعة المقدسة التى هى الأوريم والتميم . وكانت الأفود الكهنوتية تستخدم فى طلب إرشاد الله كما فعل داود عندما أراد أن يعرف ماذا يخبىء له شاول (صموئيل الأول

(٩) قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٣٦ .

٢٣ : ٦ — ١٣) ، وفى مرة أرشد الله داود أن يلحق بالغزاة بواسطة الأفود (صموئيل الأول ٣٠ : ٧ — ١٠) ، وقد كان بعض العابدين يلبسون الأفود كما فعل صموئيل عندما كان يقوم بدوره فى مساعدة رئيس الكهنة عالى (صموئيل الأول ٢ : ١٨)[١٠]

أما العهد الجديد فلم ترد فيه أية إشارة للأوريم ولا للتميم ولا للأفود لأنها كلها كانت قد أبطل استعمالها قبل مجىء المسيح[١١] . ولم تستخدم القرعة فى العهد الجديد قط إلا عندما حدث خلاف بين التلاميذ على اختيار شخص يحل محل يهوذا ، فوقعت القرعة على متياس (أعمال الرسل ١ : ٢٥ ، ٢٦) . وليس هناك دليل واحد على أن اختيار متياس كان موفقا . كما أن وجود خلاف وعدم إمكان التلاميذ الوصول إلى حل بطريق التفاهم كان دليلاً على أنهم لم يكونوا على المستوى الروحى المناسب . أما السيد المسيح فلم يذكر عنه العهد الجديد أنه استخدم القرعة قط .

يلجأ كثيرون إلى القرعة كوسيلة لمعرفة إرادة الله . وهنا أيضاً ينبغى أن نكتشف طريقة الله فى التعامل . فإن الله — كما سبقت الإشارة — لا يمكن إلزامه بطريقة معينة فى العمل أو فى إعلان ذاته . قد تصيب القرعة مرة ، وتفشل مرات عديدة . ولهذا فإن القرعة لا يمكن الإعتماد عليها أساساً لمعرفة إرادة الله .

قد تصلح القرعة فى حالة وجود خلاف فى الفكر بين أفراد جماعة ما ، فترغم القرعة ممارسيها بالخضوع للنتيجة التى تعلنها . ليس معنى ذلك أن هذه النتيجة هى بالتأكيد إرادة الله ، فقد لا تكون كذلك . ولا شك أن أفضل وضع هو الوصول إلى حل عن طريق الحوار الفكرى البناء مع الجماعة . وبذلك تصل الجماعة إلى حل تكون قد اقتنعت به الأغلبية

---

(١٠) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٩٦ .

(11) Allen . op . cit ., p . 34

واستراحت إليه .

العلامات :

هناك من يحددون علامات معينة ينتظرون أن الله يكلمهم بها أو يكلمهم الله عن طريق علامات ، ولكن كيف نجد الله فى علامات نحددها نحن ؟ قد يريد الله أن يحدثنا عن طريق هذه العلامات وقد لا يريد . فإن لم تتحقق العلامة ظننا أن الله لا يوافق على المشروع المقترح . ومن أدرانا أن الله يريد هذه العلامة لتكون علامة مميزة ؟ إن العلامات التى جاءت فى مرات عديدة لشعب الله كانت علامات مختارة من الله . إن عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً كانا علامة وضعها الله لإثبات مواعيده للبشر . إن العليقة التى كانت تتقد ولا تحترق كانت علامة من السماء ، لم يقصدها موسى ولم يكن يتصور أنها تحدث .

هذا إلى جانب أننا نخطىء فى اختيار العلامات وقد تكون العلامة تعتمد على محض الصدفة ، كمن يقول سأختار أول من تقابلنى فى مكان لتكون زوجة لى ، وبذلك يخطىء الشخص الهدف كلية . وقد يختار الإنسان علامة متميزة ، تعطيه النتيجة التى يريد أن يحصل عليها . ومهما قال الإنسان أنه محايد وغير متحيز لجانب ما ، فإنه فى مرات عديدة يكون مخطئاً . فإن الإنسان ينقاد أحياناً بإحساسات لا شعورية توجهه لفكرة معينة ، وقد يدرى هو ذلك ، وربما لا يدرى .

لقد نجح عبد ابرهيم فى اختيار رفقة لإسحق . فقد اشترط عبد ابرهيم أن الفتاة التى تسقيه وتسقى جماله هى التى عيّنها الله لإسحق (تكوين ٢٤ : ١٤) وفعلاً كان . وكانت رفقة على البئر ، وقد سقته وسقت جماله . إلا أن الأمر لم يتوقف على مجرد « العلامة » . لقد اشترط ابرهيم أن الزوجة تكون من « عشيرته » ليتأكد أنها من نفس الشعب المؤمن بالإله الواحد . بل أن ابرهيم استحلف عبده ألا يختار زوجة إسحق من بنات الكنعانيين

(تكوين ٢٤ : ٣) . كما اشترط أن إسحق لا يفارق المكان الذى يعيش فيه ، فلا يذهب إلى حيث تقيم الزوجة ، بل تذهب الزوجة إليه ، فقد كان مكان مقر إقامته مقرراً بدعوة إلهية ، عندما قال لإبرهيم « إذهب من أرضك وعشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك (تك ١٢ : ١) » .

لقد كان إبرهيم يجهل أفراد أسرته بعد غياب طويل . كما أن تقاليد المجتمع فى عصره لم تكن تسمح بلقاء بين الفتيان والفتيات مما يسهل أمر اختيار شريك الحياة . بل كان المكان الوحيد لظهور الفتيات هو البئر . فقد كانت العادة فى هذا المجتمع أن تذهب الفتيات إلى البئر ليملأن جرارهن بالماء ويحملنها إلى منازلهن ــ نفس أسلوب الحياة فى كثير من قرى بلادنا حتى عصرنا الحاضر . ولم تكن هناك وسيلة لرؤية الفتيات إلا عند البئر . ولما كانت وسائل المواصلات فى تلك الأيام صعبة جداً ، ولم يكن من السهل أن يذهب إبرهيم أو إسحق للبحث عن زوجة ، فكان الحل الأوحد هو إرسال العبد لاختيار الزوجة .

أما العبد ــ المكلف باختيار الزوجة لسيده ــ فيجد نفسه حائراً ، ولا بد له أن يختار وسيلة عشوائية بدائية لاكتشاف الزوجة بشرط أنها تفى بالشروط الموضوعة له لاختيار الزوجة ، وهى : فتاة من عشيرته ، من شعب الله . وقد يختلف الناس فى تحديد القيم . فقد يسىء إنسان الظن فى فتاة تجيب على رجل لا يعرفها ولا تعرفه ، ثم تسقيه وتسقى جماله . إلا أن عبد ابرهيم اعتبر أن هذه علامة لفتاة تتجاوب معه . لا شك أن لعبد إبرهيم فكرة معينة عن الفتاة التى يختارها ، فاختار « فتاة » حسنة المنظر جداً (تكوين ٢٤ : ١٦) وتحدث إليها .

من هذا نرى أن العلامة التى لجأ إليها ابرهيم ، لجأ إليها مرغماً ، ولم تكن علامة عامة ، بل كانت مرتبطة بإيمان ابرهيم ، وبالمكان الذى يتم اختيار زوجة إسحق منه . يضاف إلى ذلك أنه ليس من الطبيعى أن تكون

هذه الوسيلة هى وسيلة اختيار الزوجة فى جميع الحالات . كما أن نجاح هذه العلامة لا يعنى أن العلامة تصلح لجميع الحالات أو أن كل العلامات تنجح مثلها . لقد كانت ظروف اختيار رفقة لإسحق ظروفاً شاذة يندر وجودها فى مجتمعاتنا الحالية .

من الجائز أن يتعامل الله مع شعبه عن طريق علامات معينة ، إلا أن العلامات التى يريدها هو ، هى التى تصدر منه أساساً فهو الذى يختارها لتوضيح إرادته وإعلانها . أما العلامات التى يختارها البشر ، فليس الله مرتبطاً بها دائماً ، ولا تعبر نتائجها عن مشيئة الله دائماً .

انتظار الله فى المعجزة :

عندما تغلق الأبواب أمام الإنسان ، ولا يجد لنفسه مخرجاً منها ، يلجأ على الفور إلى الله « إعمل معجزة يارب » . وقد يصنع الله المعجزة ، إلا أنه فى مرات عديدة لا يصنعها . مرة طلب أناس من المسيح آية ولكنه رفض أن يصنعها (متى ١٢ : ٣٩) .

إن انتظارنا الكبير لمعجزة تحل مشكلاتنا تعبير صادق عن رغبتنا فى الهروب من المشكلة وعدم مواجهتها . أليس من الأفضل أن نواجه مشكلاتنا بأنفسنا ، فنتحمل الألم ، أو نبحث عن حل واقعى ؟ وفى وقت المحنة لماذا لا نصبر ونفكر واقعياً بدل أن يكون تفكيرنا خيالياً بعيداً ، وبدل أن نركز إهتمامنا واتجاهنا فى « معجزة » تطور الواقع وقد لا تحدث المعجزة .

ليست المعجزة فى حد ذاتها ــ هدفاً ، فلم يصنع المسيح المعجزة ليبرز ذاته ، أو للمعجزة ذاتها ، بل كان يهدف لما هو أسمى وهو خدمة حاجات الناس . ومع ذلك دعنا نتسائل : أى الموقفين أهم : أن تحل المشكلة بمعجزة أو أن تحل بالحل الطبيعى بمواجهتنا لها ، وبصراعنا معها . أليس الأخير معجزة أكبر ؟ أليست المعجزة الحقيقية أننا نواجه الظروف ونفكر فيها بعمق ونبذل الجهد والعرق لنصل إلى حل ، ونختبر الناس والحياة ، ونفهم عن

كثب أمور أكثر . إن الذين يصلون طالبين حل مشكلاتهم بمعجزة ليسوا أعمق روحياً ممن يصلون إلى حل مشكلاتهم بأنفسهم . كما أن الذين يرون فى منامهم المسيح والقديسين ليسوا أكثر قدسية وإيماناً وعمقاً من الذين لا يشاهدونهم . إن الحياة المليئة بالواقعية والمواجهة أكثر خبرة وأدق فهماً وأعمق إيماناً من الحياة التى تعتمد على الخيال وحده .

٩

هل الفلك ومخاطبة الموتى يكشفان إرادة الله

نريد فى هذا الفصل أن نتطرق لبعض الوسائل التى يلجأ إليها الإنسان ليعرف أسرار الإرادة الإلهية . فهناك مواقف معينة يهتم فيها الإنسان أن يعرف المستقبل أو يكشف الغيب دون أن يعنيه أن تكون له علاقة مباشرة بالله . فإن غموض المستقبل بالنسبة للإنسان يثير فيه حيرة كبرى فلو أدرك الإنسان المستقبل لخطط برامجه بأسلوب أفضل . ويعتقد بعض الناس أن هناك وسائل لكشف المستقبل الغامض دون الرجوع إلى الله .

هل الفلك يكشف للإنسان إرادة الله ؟

لجأ الناس منذ قديم الزمان للفلك ، علهم يعرفون أسرار الكون والمستقبل . وقد بدأ هذا التفكير فى أشور وبابل وبلاد فارس قديماً . وكانت الفكرة أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الأجرام السماوية وحركة الأرض وبذلك اعتقدوا أنه فى إمكان الكواكب أن تنبىء بما يحدث فى الأرض(١٢) .

ولا شك أن هذه العقيدة تتبع أساساً من تأليه الكون . فمنذ القديم عبد الناس الشمس والقمر والنجوم ، واعتبروها مصدر حظهم وشقائهم أو سعادتهم .. وقد حاول القدامى إرساء قواعد « علم الكواكب » الذى يوجد علاقة بين الكواكب (أى الشمس والقمر والنجوم) وحظ الإنسان ومستقبله . وقد دخل هذا الفكر إلى مصر مع الفكر الهلينى فى عصر الإمبراطورية الرومانية(١٣) . وقد تقدم العرب فى الدراسات الاسترولوجية فى الفترة ما بين القرن السابع الميلادى والقرن الثالث عشر ، ثم سيطرت هذه الدراسات على الفكر العربى والأوربى فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر(١٤) . وفى القرن السادس عشر اعتبرت الأرض أحد الكواكب وبذلك

---

(12) Ibid ., p . 21 .

(13) The Encyclopaedia Britanica ., Cambridge : The University Press , 1911 . p . 796 . A .

(14) Ibid .,

تأصلت الدراسة فى علاقة الكواكب بحياة الإنسان على الأرض(١٥)

وقد سخر إشعياء النبى من أولئك الذين يبحثون عن أسرار الكون والمستقبل من الكواكب قائلاً : « قد ضعفت من كثرة مشوراتك . ليقف قاسموا السماء الراصدون النجوم ، المعروفون عند رؤوس الشهور ، ويخلصون مما يأتى عليك (إشعياء ٤٧ : ١٣) » . وقد عبر إشعياء منذ القديم (أى قبل أن يدعى دارسو الاسترولوجية بتحويل دراستهم إلى علم) عن أولئك الذين يقسمون السماء ، أى أولئك الذين رسموا خريطة للسماء ، وتطلعوا إلى مجموعات الكواكب ، لتعلن لهم أيام الحظ الحسن وأيام الحظ السيء(١٦) . لقد رأى إشعياء النبى أن التطلع إلى أقوال من يدعون بمعرفة الغيب عن طريق الفلك يتعب الإنسان ويضلله . فإن هذا الطريق يبعد الإنسان عن الحق الإلهى وعن عبادة الله الصادقة .

إن الكثيرين الذين يقرأون « حظك اليوم » فى جرائد بلادنا ، قد يجدون فيها مجالاً للفكاهة إلا أن من يأخذها على محمل الجد ، يبتعد بإيمانه كثيراً عن الاعتماد الكامل على الله .

هل مخاطبة الموتى تكشف إرادة الله ؟

يقودنا التفكير فى البحث عن إرادة الله إلى ما عمله شاول . فقد « سأل شاول من الرب عن موقف الحرب مع الفلسطينيين » ولكن الله لم يجبه « لا بالأحلام ولا بالأوريم ، ولا بالأنبياء (صموئيل الأول ٢٨ : ٦) » . وهنا لجأ شاول إلى « امرأة صاحبة جان » وقد عرفه مستشاره بامرأة فى عين دور . وصاحبة الجان هى التى تدعى أن لها علاقة بالموتى ، وأن لها

---

(15) Ibid ., p . 795

(16) Buttrick . op . cit ., p . 551

مقدرة على التخاطب معهم . فتنكر شاول وذهب ومعه رجلان إلى هذه المرأة ، وطلب منها أن تصعد له روح صموئيل النبى . إعتقد اليهود فى تلك الأيام أن الأرواح تبقى فى مكان حفظ الأرواح « شيول » ، وهو مكان فى باطن الأرض . لذلك كان شاول يريد صاحبة الجان أن تصعد له روح صموئيل النبى من باطن الأرض . وعندما ظهرت الروح « صرخت المرأة بصوت عظيم » (صموئيل الأول ٢٨ : ١٢) . لسنا ندرى تماماً السبب فى هذه الصرخة . ربما كان الخيال الذى ظهر لها يختلف عما تعودت عليه . وفى هذه اللحظة اكتشفت المرأة شاول الملك التى لم تكن تعرفه ، وقالت له : لماذا خدعتنى وأنت شاول ؟ إننا لا نعلم فعلاً ماذا حدث وليس من السهل أن نعرفه من النص الكتابى . لقد رفض الله أن يعرف شاول بإرادته العليا . لذلك أراد شاول أن يتحايل لمعرفة إرادة الله عن طريق صاحبة الجان . وكان لا بد لشاول أن يتنكر ، لأن مهمة صاحبة الجان كانت ممنوعة بحكم الشريعة والقانون . ولا شك أن المرأة صرخت عندما عرفت شاول . كيف يعرف الملك أنها تكسر القانون ؟ وما موقفها بعد ذلك ؟ ولربما شكت فى إخلاص شاول فى الموقف ؟ هل ظهر فعلاً روح صموئيل النبى مما جعل المرأة تصرخ بصوت عظيم ؟ وهل أراد الله أن يحول مجريات الأمور ، أن يعلن إرادته فى ذلك الوقت ؟

إن اللجوء إلى مخاطبة الموتى ، كاللجوء إلى الفلك ، وسائل يستخدمها أناس فاشلون فى حياتهم (كما كان شاول) بعيدون عن الإيمان الصحيح ، يعيشون فى فراغ روحى ، فيلجأون إلى وسائل غير صحيحة . لقد نصت الشريعة قديماً (لاويين ١٩ : ٣١) على أن مخاطبة الجان تنجس الإنسان ، كما أنها شر يعارض إرادة الله (ملوك الثانى ٢١ : ٦) . قال الله « لا يوجد فيك من يجيز إبنه أو إبنته فى النار ، ولا من يعرف عرافة ، ولا عائف ، ولا متفائل ولا ساحر ، ولا من يرقى رقى ، ولا من يسأل جاناً أو تابعه ، ولا من يستشير الموتى (تثنيه ١٨ : ١٠ ، ١١) » .

١٠

هل يحدثنا الله عن طريق الرؤى والأحلام ؟

إننا نجد حالات عديدة جداً فى العهدين القديم والجديد استخدمت فيها الأحلام والرؤى لمعرفة إرادة الله . ففى العهد القديم نجد أن الله يكلم إبرام فى رؤيا الليل ، يعلن له وعوده بامتلاك أرض وبميلاد ابن يرثه (تكوين ١٥ : ١ ــ ٤) . ثم كلم الله يعقوب وقدم له وعوده (تكوين ٤٦ : ٢ ــ ٤) ، وكان يعقوب قبل ذلك قد رأى الرب فى بيت إيل فى حلم الليل (تكوين ٢٨ : ١١ ــ ١٤) . وقد كلم الله أبيمالك معلناً له أن سارة هى زوجة أبرام وليست أخته ، ليحفظ أبيمالك من خطأ كان معرضاً له (تكوين ٢٠ : ٢ ــ ٧) . وقد تراءى الرب لسليمان فى حلم ليلاً وسأله عما يريد ، وطلب سليمان منه حكمة (ملوك الأول ٣ : ٥) .

وقد أشار أيوب إلى الأحلام بأنها إحدى الوسائل التى يستخدمها الله ليتحدث إلى البشر ، فى قوله « ولكن الله يتكلم مرة ، وباثنتين لا يلاحظ الإنسان . فى حلم ، فى رؤيا الليل ، عند سقوط سبات على الناس ، فى النعاس على المضجع (أيوب ٣٣ : ١٤ ، ١٥) » . وقال إرميا النبى (٢٣ : ٢٨) : « النبى الذى معه حلم ، فليقص حلماً ، **والذى** معه كلمتى فليتكلم بكلمتى بالحق » .

وقد جاءت الإشارات إلى رؤيا ملاك والتخاطب المباشر معه مرات عديدة فى العهد القديم . فهناك حديث الملاكين مع لوط لإخراجه من سدوم وعمورة (تكوين ١٩ : ١٨ ــ ٢٢) ، وحديث الملاك لهاجر (تكوين ١٦ : ٩) لتعود إلى سيدتها ، وحديثه ليعقوب فى بيت إيل (تكوين ٣١ : ١١ ــ ١٣) عن وعوده لمستقبل الشعب . وقد ظهر لجدعون يشجعه (قضاه ٦ : ١١ ، ١٢) ، ولبلعام لتقديم رسالة خاصة مع رؤساء بالاق (عدد ٢٢ : ٣٥) ، ومع ناثان النبى بشأن بناء الهيكل (صموئيل الثانى ٧ : ٤ ــ ٧) ، ومع إيليا التشبيى بشأن رسالة لملك السامرة (ملوك الثانى ١ : ٢ ــ ٤) .

إن الأحلام والرؤى وظهورات الملائكة فى العهد القديم كانت أحياناً لمجرد التشجيع ، وكانت أحياناً أخرى للإرشاد والتوجيه ، وكانت أحياناً ثالثة للتعليم كما فى حزقيال وزكريا .

أما فى العهد الجديد فلم يرد منه سوى خمسة أحلام : واحد منها ليوسف ليأخذ مريم امرأته (متى ١ : ٢٠) ، وثان ليوسف ليهرب بمريم والصبى إلى مصر (متى ٢ : ١٣) ، وثالث ليوسف ليعود إلى أرض إسرائيل (متى ٢ : ١٩ ، ٢٠) ، ورابع ليوسف ليعود عن طريق الجليل هارباً من هيرودس (متى ٢ : ٢٢) ، وخامس لامراة بيلاطس عندما أنذرت زوجها من جهة السيد المسيح (متى ٢٧ : ١٩) ، فقد تألمت كثيراً لأجله فى الحلم . ومن هذا يظهر أن الأحلام كلها فى العهد الجديد كانت مرتبطة بمصير السيد المسيح .

أما الرؤى فى العهد الجديد ــ فيما خلا سفر رؤيا يوحنا ــ فكلها كانت مرتبطة أساساً بنمو الكنيسة وانتشارها ، أما الرؤيا التى كانت لشاول الطرسوسى فى طريق دمشق (أعمال الرسل ٩ : ٣ ــ ٦) فقد كانت رؤيا من نوع خاص ، دعى فيها بولس للرسولية ، فكان لا بد للرسول أن يشاهد السيد ليكون واحداً من رسله .

ذكر العهد الجديد ستة رؤى ارتبطت كلها بنمو الكنيسة وخدمتها :

كانت الرؤيا الأولى لحنانيا ليذهب إلى شاول ويقدمه للشعب ، فإنه بدون هذه الرؤيا ما كان من الممكن للكنيسة أن تقبل شاول أو تطمئن إليه بعد أن كان أكبر مضطهد للكنيسة (أعمال الرسل ٩ : ١٠ ــ ١١) . والرؤيا الثانية كانت لبولس الذى رأى حنانيا قادماً إليه ، وواضعاً يده عليه لكى يبصر (أعمال الرسل ٩ : ١٢) .

أما مشكلة إعلان الإنجيل للأمم فقد ظهرت بخصوصها رؤيتان ، الأولى لكرنيليوس ، الضابط الرومانى اليهودى المخلص ليطلب بطرس الرسول (أعمال

الرسل ١٠ : ١ ــ ٨). لما جاء بطرس شاهد رؤيا كانت فيها السماء مفتوحة ، وملاءة عظيمة مدلاة على الأرض ، وصوت الرب يعلن له الموافقة على دخول الأمم إلى جماعة الرب (أعمال الرسل ١٠ : ٩ ــ ١٦) .

أما الرؤيا الخامسة والسادسة فكانتا خاصتين بنشر الإنجيل للأمم . فالخامسة كانت لبولس الرسول ليذهب إلى مكدونية (أعمال الرسل ١٦ : ٩) والسادسة كانت لبولس أيضاً عندما كان فى كورنثوس تحت اضطهاد اليهود وقد شجعته الرؤيا وأعطته الجرأة والقوة ، فقال الرب لبولس برؤيا فى الليل : لا تخف ، بل تكلم و لا تسكت لأنى أنا معك ، ولا يقع بك أحد ليؤذيك ، لأن لى شعباً كثيراً فى هذه المدينة (أعمال الرسل ١٨ : ٩ ، ١٠) .

من هذا نرى أن الأحلام الخمسة فى العهد الجديد كانت خاصة بالسيد المسيح ، والرؤى الست فى العهد الجديد كانت خاصة بإنماء الكنيسة وتقدمها ، وشق الحواجز التى فرضها اليهود المتجددون لوقف الامتداد لخدمة الأمم .

أما ظهورات الملائكة فى العهد الجديد ، فلم تكن للإرشاد ، بل للإعلان . ظهر الملاك مرة لزكريا لإعلان ولادة يوحنا المعمدان (لوقا ١ : ١١ ــ ١٥) ، ولمريم العذراء عن ميلاد السيد المسيح ورسالته (لوقا ١ : ٢٦ ــ ٣٨) وللرعاة (لوقا ٢ : ٨ ــ ١٢) ولإعلان قيامة المسيح من القبر (متى ٢٨ : ٢ ــ ٧) ولإخراج الرسولين من القبر (أعمال الرسل ٥ : ١٧ ــ ٢٠) ، ولبطرس (أعمال الرسل ١٢ : ٥ ــ ١١) ، ولإخراج فيلبس من السامرة إلى طريق غزة حيث قابل الكوشى (أعمال الرسل ٨ : ٢٦) .

قال بولس عن رؤى الله « أنه (الله) بإعلان عرفنى بالسر (أفسس ٣ : ٣) » ، ولما شاهد المسيح فى طريق دمشق قال « لم أكن معانداً للرؤيا السماوية » .

إلا أننا لا يمكن أن نجزم أن كل أحلام بولس الرسول الليلية كانت إعلانات إلهية . فلا بد من وجود أحلام رآها بولس ولم يكن لها صلة قط بأى إعلان إلهى . بل كان على بولس أن يميز بين ما هو إلهى وبين ما هو عادى . إن هذه الإعلانات لم تكن بعيدة عن فكر بولس . فلقد كانت كلها تبدأ من حياته الفكرية العادية . لقد كان غيوراً مخلصاً ، يضطهد المسيحيين خدمة لله ، فإعلان الله له يرتبط أساساً بمهمته فى طريقه إلى دمشق . وليس لدينا دليل يوضح مدى معرفة بولس الرسول السابقة لمكدونية قبل هذه الرؤيا . فإن الرؤيا دعوة لا تشترط بالذات جهل الإنسان بكل مكنوناتها قبل وصولها .

لهذا فإن الرؤى لا تأتى من فراغ ، بل لها ارتباطاتها بحياة الفرد . لقد كان وراء رؤيا بولس رغبته المخلصة فى الخدمة وتفتحه لآفاق بعيدة فى الدولة الرومانية كلها عن طريق عمله فى السنهدريم ـــ أيام أن كان عضواً فيه ـــ إلى غير ذلك كما كانت له خبرته السابقة للسفر . إن الله فى دعوته للإنسان يستخدم كل ملكاته وخبراته ويسخرها لطاعته .

يضاف إلى ذلك أن بعض الرؤى ، هى رؤى مفتوح العينين . فإن رؤيا طريق دمشق وهى أروع الرؤى فى حياة بولس وأهمها ـــ هى رؤيا مفتوح العينين . فليست الرؤى مرتبطة بأحلام المنام فحسب ، بل قد تكون مرتبطة بأحلام اليقظة أيضاً .

ترتبط الأحلام بخيال الإنسان . وللأحلام تفسيرات عديدة منها ما هو بدائى ومنها ما هو علمى . و قد كان فرويد ـــ عالم النفس المشهور ـــ أول من حلل الأحلام وفسرها على أساس علمى منظم . إلا أن علماء النفس التابعين لفرويد فسروا الأحلام بطرق أخرى . ولسنا هنا بسبيل استعراض الأحلام والرؤى وتفاسيرها ومفاهيمها ، بل نكتفى بالقول بأن الأحلام وسيلة قد يستخدمها الله متى أراد ، لا يجوز أن نرغمه على استخدامها ، كمن يقول له : إعلن لى هذا يارب فى رؤيا الليل ... ولا يجوز أن نفسر

الرؤيا أنها من الله ، إلا بحذر كبير . فإن أحلام الليل لا تكفى وحدها لإثبات صحة إعلان إلهى . أما أحلام اليقظة ورؤى العين المفتوحة وهى التفاعل الحى اليقظ الواعى بين الإنسان والله ، فهى الوسيلة التى تعتمد عليها أكثر فى معرفة إرادة الله . لم يسجل الكتاب المقدس أن السيد المسيح حلم حلماً أو رأى رؤيا .

بل أننا فى خبرتنا فى حياتنا اليومية نحتاج لتعميق مفاهيم خبرة « رؤى مفتوح العينين » لممارستها مع الله فى الصلاة . فإننا نحتاج لرؤى فى الخدمة ، ورؤى فى مواجهة المشكلات والوصول إلى حلول مسيحية لها ، ورؤى تكشف لنا طريق السلوك اليومى . ليست هذه الرؤى مشاهدات نبصرها بالعين المجردة ، بل أفكار نكتشفها فى عقولنا ونحن فى محضر الله .

لماذا يضيع كثيرون وقتهم يطلبون من الله أن يعلن لهم فى حلم أو فى رؤيا ؟ لماذا يبذلون الجهد بحثاً عن صورة تظهر لهم فى المنام ، هذه الصورة يعرضها عليهم العقل الباطن ، يكشف لهم فيها مكنوناته ومكبوتاته ، وأخيراً ، يظن بسيط الإيمان ، أن هذا الحلم هو رؤيا من الله ؟ لماذا لا نلجأ إلى الله ، فى يقظتنا ، وفى وعينا نتفاهم معه ... محاولين أن نكتشف إرادته .

١١

هل يحدثنا الله عن طريق الناس ؟

هل نستمع لصوت الله أم لصوت البشر ؟ وهل صوت البشر من صوت الله ؟ وإن اختلفت نصائح البشر فأيها يتفق مع إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة ؟ هل تتفق إرادة الله مع إرادة الناصحين ؟ وهل هناك أشخاص نصائحهم هى دائماً من الله ؟ ربما لأن لهم مسحة معينة أو خبرة خاصة ؟ وهل هؤلاء تجب طاعتهم ؟ أم أن إرادة الله هى دائماً ضد ما يراه الناس صواباً ؟ هذه وغيرها كثير من الأسئلة المحيرة للبشر .

الحياة مليئة بالناصحين والمرشدين . منهم من يرشدنا فى كلمة الله ، وهؤلاء نحتاج لسماعهم ولتعلم الإنجيل منهم . قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين « أطيعوا مرشديكم ، واخضعوا ، لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حساباً لكى يفعلوا ذلك بفرح ، لا آنين لأن هذا غير نافع لكم (١٣ : ١٧) » . وفى مكان آخر (عبرانيين ١٣ : ٧) يقول « اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله . أنظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم » . وفى هذا دعوة للتعمق فى الإيمان مع جماعة المؤمنين الذين جاهدوا قبلاً جهاد الأبطال . إن هذه الطاعة ترتبط بالقيم العامة والأساسية فى الإيمان ، ولكنها ـــ حتماً ـــ لا تتعلق بخصوصيات الفرد وحياته .

وخصوصيات المؤمن تحتاج إلى إسلوب خاص فى مواجهتها . إن استماعك لنصيحة الذين اختبروا أكثر منك يؤثر على طريقة تفكيرك ، ولا شك أن الله أحياناً يتحدث إليك عن طريق أصدقاء مؤمنين ، أو رجال دين أو إخوة مخلصين . لكن هذا لا يعني أن الله يتخذ ذلك الطريق دائماً . وليست نصائح الإخوة والأصدقاء دائماً على صواب . بل أن الآباء أحياناً يخطئون فى نصائحهم . فإن كانت طاعة الوالدين واجبة لكنها ينبغى أن تكون طاعة « فى الرب » وفيما عدا ذلك ، فطاعة الرب هى الأولى .

أحياناً ، يتخذ قائد جماعة ، دوره القيادى ، فيتحكم فى الحياة الشخصية للجماعة ولأفرادها . وبذلك يحكم هو على كل فرد فيها فى سلوكه اليومى ،

وصداقاته ، وزواجه . إن الفرد يصبح أسير القائد ، وهذا سلوك غير مقبول . فالقائد فى هذه الحالة يقف فى دور الوسيط بين المؤمن وربه ، وهذا لا يصح كتابياً .

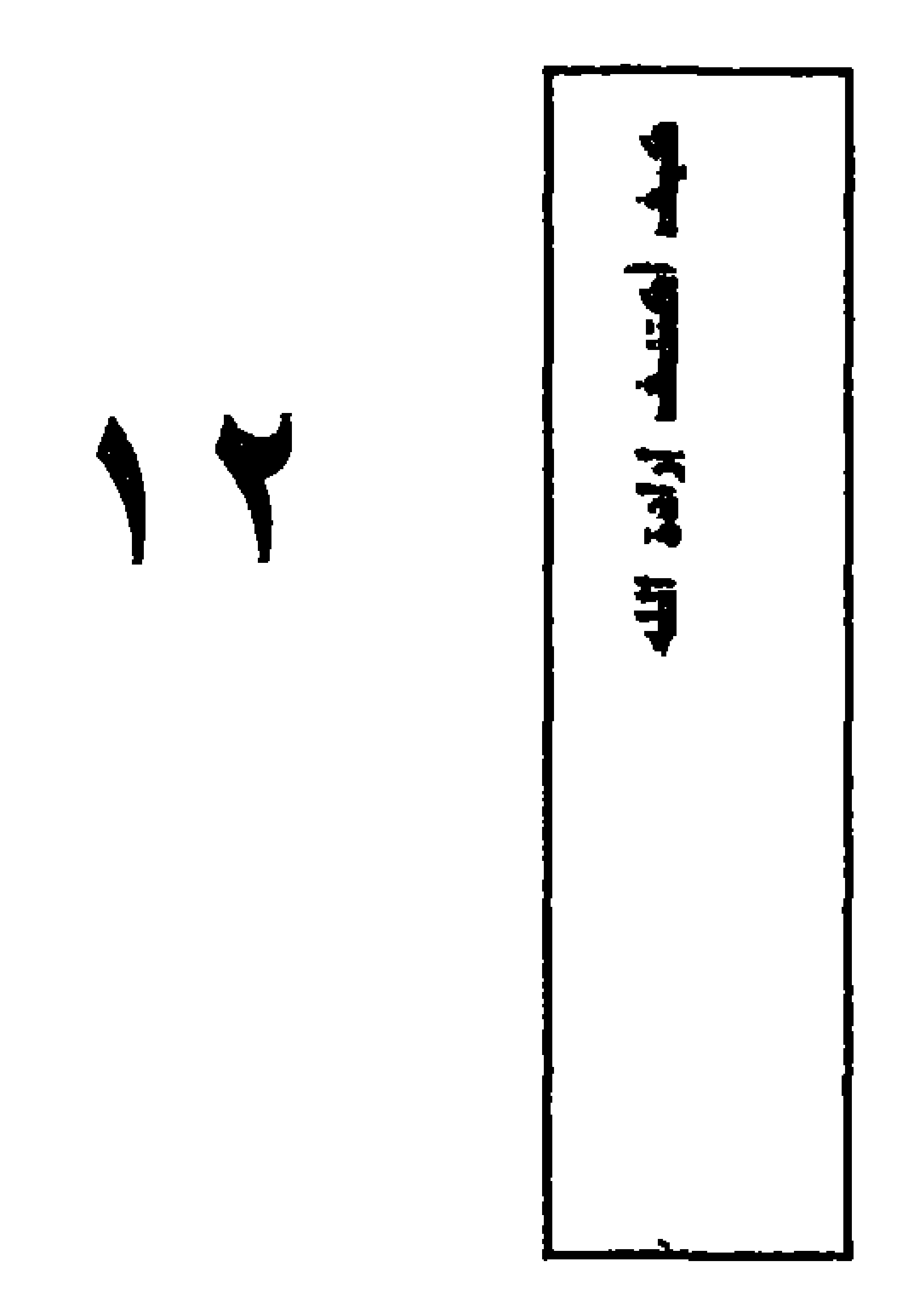
وقد ترغم أسرة شخصاً على زواج معين ، وقد يكون رأيها على صواب ، وقد يكون رأيه هو على صواب . لا يوجد مقياس واضح — كالتفكير الرياضى — يحدد متى تكون النصيحة صحيحة ومتى لا تكون ، فكل موقف يعتمد على دراسة ذاتية مباشرة . إلا أن خلاف الرأى يعاون على دراسة كافة الجوانب .

كما أن الناس فى استماعهم للنصيحة يذهبون مذاهب شتى . فمنهم المغرور الذى لا يستمع لنصيحة لمجرد أنه مغرور ، ومنهم العاقل الذى يعرف متى يستمع للنصيحة ومتى لا يستمع لها ، ومنهم السطحى الذى يستمع لكل نصيحة ويتأرجح بين الآراء والأفكار ولا يكاد يستقر على شىء ، ومنهم السلبى ، الذى يريد النصيحة لينفذها ، ويهرب هو من مسئولية اتخاذ القرار .

وقد يأتيك من يقول لك : إن الله يريد منك أن تعمل كذا وكذا ... ويدعوها بذلك رسالة خاصة من السماء لك . إن الله — إن أراد أن يكلمك — فهو يكلمك مباشرة . إنه لا يستخدم الوساطة . فلا يوجد وسيط بين الله والناس إلا يسوع المسيح ، ابن الله الحى . وجميع الوسائط بعد ذلك ينبغى أن توضع موضع الفحص الدقيق .إن الله لا يرسل رسائله عن طريق أناس أياً كانوا . وليس من حق أحد أن يقول : « هكذا يقول الرب لك » لأن مثل هذا القول ينقص من قيمة شخص المسيح ، كمال الإعلان الإلهى للبشر .

كما يجب أن نراعى أن إرادة الله لشخص معين فى موقف معين قد تتفق مع إرادته لشخص آخر وقد لاتتفق . فليس من الضرورى أن يتصرف

الرسول بطرس فى موقف معين نفس تصرف بولس الرسول فى نفس الموقف . فإرشاد الله للإنسان يختلف بإختلاف الأشخاص والمواقف .



هل يعلن الله إرادته لنا بطريقة مباشرة

تكلم الله مع الآباء والأنبياء قديماً بأنواع وطرق مختلفة ، إلا أنه فى مرات عديدة كلمهم مباشرة . وكان الرب يخاطب الأفراد أو الجماعات . وقد قال الرب لهرون وأخته مريم : « إن كان منكم نبى للرب ، فبالرؤيا أستعلن له ، فى الحلم أكلمه . وأما عبدى موسى ، فليس هكذا ، بل هو أمين فى كل بيتى . فماً لفم ، وعياناً أتكلم معه ، لا بالألغاز ، وشبه الرب يعاين (عدد ١٢ : ٦ ـــ ٨) » . وجاء فى سفر الخروج (٣٣ : ١١) . « ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه ، كما يكلم الرب صاحبه » .

لا شك أن الرب ليس جسداً ، فليس له وجه ، وبالتالى ليس له فم وعين . لهذا ، فإننا لا ندرك كيفية المواجهة التى تمت بين الله وموسى . إلا أننا نعلم أنه خاطب موسى مباشرة .

إلا أن الله ـــ أخيراً ـــ أكمل إعلانه لنا فى شخص المسيح يسوع . وكان هذا الإعلان هو كمال « كلمة الله » للبشرية . فى العهد القديم كان الله يخاطب الأفراد والجماعات . أما فى العهد الجديد فلا مكان للأوريم والتميم والأفود . إلا أن باقى الوسائل التى استعملها الله للتخاطب مع البشر فى العهد القديم مورست فى العهد الجديد لإعلان إرادته .

أعلن العهد الجديد عن مجىء « الروح القدس » وقد وعد يسوع بأن الروح القدس يقوم بدور الإرشاد لأبناء الله . قال يسوع (يوحنا١٦ : ١٣) « وأما ، متى جاء ذاك ، روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية » .

لقد أرشد الروح القدس الكنيسة لاختيار خدام الكلمة ، فإنه بينما يقوم أنبياء ومعلمون للخدمة فى أنطاكية قال الروح القدس « أفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه (أعمال الرسل ١٣ : ٢) » ، ومن هنا بدأت الحملة التبشيرية الأولى للرسولين بولس وبرنابا فى الأمم .

وبعد الحملة التبشيرية الأولى ، اجتمع مؤتمر أورشليم الذى ناقش مشكلة دخول الأمم إلى جماعة الرب ، وقد أرشد الروح القدس الرسل إلى التعاليم التى كانت تناسب المشكلة فى ذلك الوقت . فجاء فى سفر أعمال الرسل (١٥ : ٢٨ ، ٢٩) : « لأنه قد رأى الروح القدس ونحن ، أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة ، أن تمتنعوا عما ذبح للأوثان ، وعن الدم ، والمخنوق ، والزنا ، التى إن حفظتم نفسكم منها فنعماً تفعلون » . وهذه التى منعها الروح كانت عادات يمارسها الوثنيون قبل دخولهم المسيحية . ألم يقل يسوع « وأما متى جاء ذلك ، روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق (يوحنا ١٦ : ٣) » .

وكما أن الروح القدس يرسل أشخاصاً للكرازة ، فهو فى مرات قد يمنع عن الكرازة لأهداف سامية قد نعرفها وقد لا نعرفها . فبعد ما اجتاز بولس وبرنابا فى فريجية وكورة غلاطية ، منعهم الروح القدس أن يتكلموا فى آسيا (أعمال الرسل ١٦ : ٦ ، ٧) فلما أتوا إلى ميسيا حاولوا أن يذهبوا إلى بثينية ، فلم يدعهم الروح .

إن الله ـــ فى العهد الجديد ـــ يتحدث إلى الإنسان ، عن طريق انعكاسات عميقة لعلاقة الإنسان الحية بالله واتصاله بالناس ومعرفته لحاجاتهم الأساسية روحية كانت أو جسدية . لقد كان يسوع ، ابن الإنسان ، صورة صادقة للمؤمن فى تجاوبه مع الله الآب ، وفى ممارستها . قال السيد « طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله (يوحنا ٤ : ٣٤) » .

إن الإرشاد الإلهى المباشر ، يتحقق عن طريق عقل متفتح ورغبة جادة مخلصة لمعرفة إرادة السيد ، والعمل بما يطابقها بمجرد اكتشافها . وكلما بذل الإنسان جهداً لمطابقة إرادته مع إرادة الله ، ولتوافقهما معاً ، وكلما حاول أن يعيش بنقاوة القلب ، ومشاركة جادة وفعالة ، أمكنه أن يدرك إرادة الله المباشرة عن طريق روح الله القدوس .

١٣

هل إرادة الله فوق طبيعية ؟

إن الإرشاد الإلهى هو العنصر الذى يربط المنظور بغير المنظور . إنه يرفع أنظارنا المحدودة إلى المقاصد السامية . فإن كان الإرشاد الإلهى فى حد ذاته صورة صادقة لسيادة الله على الجنس البشرى ، إلا أنه إلى جانب ذلك صورة رائعة لعناية الله بالبشر ، ومحبته لهم ، وإهتمامه بهم .

لقد سبق الله فرسم بريشته الفنانة الرائعة خطة حياة مجيدة لكل إنسان . ترتبط هذه الخطة بتجديد حياة الإنسان وتخليصه من الخطية وسيادتها وسلطانها . إن إرادة الله لكل إنسان أن يؤمن به مخلصاً شخصياً وقائداً يومياً فى سلوك الحياة العادية . إن إرادة الله الفردية ، شخصية هادفة ، ليكملنا المسيح فى كل عمل صالح ، وليقودنا إلى الأهداف السامية التى حددها لنا . ولكننا كثيراً ما لا نقدر أن نبصر عن كثب إرادة الله . بل أن المثال الذى يقدمه الله لنا فى الجبل ـــ الذى هو الصورة المثالية لنا ، والهدف الذى ينبغى أن نصبر لنسمو إليه ، ولنكونه ، وهو الذى يحاول أن نكتشفه ـــ قد يكون باهتاً ، أو غير مرئى ... فكيف نراه ؟

والآن ، لعلك تتساءل بعد هذه الدراسة ، وتقول إنك فى حيرة أكثر . وقد ترى أن هذا البحث لم يترك الأمر سهلاً . فإنه يندر أن يكلمك الله عن طريق محسوسات وملموسات : كالعلامات والرؤى والقرعة ، إذ أنها ـــ كما سبقت الدراسة ـــ وسائل خطرة ، إذ أنك تخلط بين أقوال الله لك عن طريقها وبين العوامل الطبيعية فيها . فإن الله يريدنا أن نعتمد على التفكير الواعى والإيمان العميق به أكثر من أى وسيلة أخرى .

ويتجه الكثيرون إلى المعجزات ... فالرؤى معجزات ، والعلامات معجزات . ولعلنا ـــ نحن الشرقيين ـــ نندفع بسرعة ، وتستهوينا المعجزات والغرائب والعجائب ، ونصفها دائماً بمسحة مقدسة ، وقد تكون بعيدة جداً عن ذلك . لو كانت المعجزات والغرائب وسائل إلهية فى كل معاملاتها ، لكان السحرة رجالاً لله .

ليست مشيئة الله فوق طبيعية . إنها ليست مستحيلة أو معجزية . ففى استطاعة الإنسان أن يفهمها ويعرفها . قال الرسول بولس « من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء ، بل فاهمين ما هى مشيئة الرب (أفسس ٥ : ١٧)» . إلا أن مشيئة الله عميقة وترتبط بنفس الإنسان وهى أيضاً عميقة ومعقدة . وسر تعقيدها أن الإنسان يصعب عليه أن يميز بين إرادة الله وإرادته الذاتية .

إن مشيئة الله بالنسبة لك ترتبط بإرادته السامية فى كلمة الله . فإنه يريد الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون . كما أنه يريدك أن تحيا حياة البر والقداسة . ألم يقل « أعلمك » ، أرشدك الطريق التى تسلكها ، أنصحك ، عينى عليك (مزمور ٣٢ : ٨) . وقال كاتب الأمثال (٣ : ٦) : « فى كل طرقك اعرفه وهو يقوم سبلك » .

إرادة الله ترتبط باستعداداتك :

إن مشيئة الله ترتبط بما أعطاك من وزنات ومواهب . فإن لم يكن لك الصوت الموسيقى فإن الله لا يطلب منك أن تكون موسيقاراً . إن إرادة الله ترتبط بما عندك من استعدادات سواء الفطرية منها (أى الموروثة) ، أو ما تعلمته واكتسبته من خبرات الحياة . إن الشخص المعتوه ، لن يفهم إرادة الله ، وبالتالى لن يكون فى إرادة الله استخدامه فى عمل يفوق قدرته العقلية . قد يرشدك روح الله أن تترك دراسة علمية ما إلى دراسة من نوع آخر ، تتفق أكثر مع مواهبك واستعداداتك . إن إرادة الله لن تقودك لتترك ما تعلمته فى الجامعة ــ إن كنت جامعياً ــ لتدفعك لتمارس عملاً لا يتفق مع مواهبك .

إن روح الله لن يرشد طالباً يحصل على درجات أقل من مستوى كلية الطب أن يدخل هذه الكلية . فإن درجاته لن تسمح له بذلك . عندما يكون أمامك أن تختار بين ثلاث كليات ، يمكنك أن تطلب إرشاد الله ليعاونك على اختيار إحداها . واختيار الكلية يرتبط إلى حد كبير بنوع

مواهبك واستعداداتك الطبيعية . إن مشيئة الله ترتبط بما أعطاه لك من وزنات . فإن مقدرتك العقلية ومواهبك ، واستعداداتك كلها لها وزن خاص ضمن إطار الإرادة الإلهية . يريد الله أن يستخدمها ، ويستخدمك عن طريقها (متى ٢٥ : ١٥) .

إرادة الله ترتبط بطبيعتك :

بل أن مشيئة الله ترتبط بوجودك فى العالم ، وفى الجسد . إن الله لن يطلب منك أن تطير فى الهواء أو أن تسير على الماء ، فهذا مستحيل . إنه لن يطلب منك أن تنقطع كلية عن تناول الطعام ، فأنت كجسد تحتاج للغذاء . لقد خلق الله الطبيعة وكل قوانينها ، ومن الطبيعى أنه يترك الطبيعة تسير بنظمها الموضوعة .

إرادة الله لا تتعارض والتفكير العاقل :

يظن البعض أن إرادة الله للإنسان ، شيء خارج الإنسان ، يملى عليه ، ولا ينبع منه . لدرجة أن البعض يظنون أن إرادة الله لا تتفق أبداً مع العقل البشرى . ينادى البعض بأن طاعة الله لا تحتاج لتفكير بشرى إنسانى . ويدّعى هؤلاء بأن إرادة الله لهم لم تتولد قط عن فكر أو مشاعر بشرية . ثم يعتقدون أن الإنسان — لو فكر — فإن نتيجة الفكر تبعد جداً عن إرادة الله . هؤلاء يقولون لك : صل ، فإن الله سيملى عليك ما أنت فاعل . وأن القرار الذى يصل إليه الإنسان فى نهاية الأمر ، هو قرار الله وحده .

إن الله يتحدث إلينا عن طريق العقل . فكيف نعرف مشيئة الله إلا عن طريقه ؟ وكيف تنبع أفكارنا بعيدة عن مشاعرنا وإحساساتنا وميولنا ؟ أليس الإنسان بكل مشاعره وإحساساته وفكره جزءاً واحداً لا يتجزأ ؟ ألم يخلقنا الله هكذا ؟ إن الفتى وهو يختار شريكة حياته لا بد أن يفكر بعقله وينفعل بعواطفه . من يقول بغير ذلك ، يخدع نفسه . إن رغبة الإنسان فى الزواج ترتبط بميوله الجنسية ، وهى ميول مقدسة خلقها الله فيه ، كما ترتبط بميوله

السيكولوجية للبحث عن رفيق ، وهى أيضاً ميول طبيعية أوجدها الله لخدمة الإنسان .

عندما تتزوج ، تفكر بحكمتك فى تنظيم نسلك ، وعدد الأبناء الذين تستطيع أن تنشئهم تنشئة صالحة فى طاعة الله ، وفى خدمة المجتمع . إنك وأنت تخطط برامج حياتك ، تستمع لصوت الله متحدثاً إليك عن طريق عقلك ومشاعرك .

ويهمك فى هذا كله أن تتأكد من صواب فكرك ومشاعرك بتحليلها ، والتأكد من أنها مبنية على أسس سليمة . بل أن المقدرة على الفصل بين الصواب والخطأ ، بين ما يرضى الله وبين ما لا يرضيه ، مقدرة فكرية ، تحتاج إليها لتصويب ما يلزم من سلوكك الشخصى .

قد يدّعى شخص أنه يسمع صوت الله يتحدث إليه فى أذنه . لا شك أن هذا الإنسان مخدوع . فصوت الله لنا يتحدث إلينا عن طريق عقولنا وإحساساتنا ، ولا يتحدث إلينا بصوت مسموع كصوت البشر المسموع .

إن الاعتماد على الإيمان إعتماد عاقل ، وإيماننا بالله إيمان عاقل ، ولا بد من التفكير الصحيح لنصل إلى معرفة صحيحة لمشيئة الله بالنسبة لنا . إن عقل الإنسان جزء من حياة إيمانه ، ومشاعر الإنسان وإحساساته كذلك لا تنفصل عن قرارات الإيمان . إن كل فكر وإحساسات إنسانية تنبع بالضرورة من إيمان الفرد ، فبعضها خاطىء ، وبعضها صواب . الا أنه لا يوجد تصرف من تصرفات الإيمان يتم دون إعمال العقل فيه .

إن تجديد الخاطىء تغيير لحياته وتجديد لذهنه . إن دخول الفرد فى حياة الإيمان ، ووضع أهداف لحياته وسلوكه ، يدفعه إليها ، يجعل كيان الفرد كله داخل إطار الإيمان .

يظن البعض أن « الإيمان » لا يتفق مع « العقل » . ولعل هذا المفهوم الخاطىء يسيطر على كثيرين لدرجة أنهم يحاولون أن يتخذوا قرارات تخلو

من العقل والمنطق لكى تتفق مع الإيمان . إن عقل المؤمن جزء من حياته ومن إيمانه . فإنه كما يصدر عن عقل المؤمن « الفكر العادى » يصدر عن « عقله المؤمن » مخاطرات الإيمان . إن عقل المؤمن مؤمن فيه .

إرادة الله ترتبط بتجاوب الأطراف المعنية :

إن حدثتك روح الله لتتزوج من فتاة معينة ، فمن الطبيعى أنها هى تتجاوب معك . فإن لم توافق فمن يدرى : هل هى على صواب أم أنت ؟ وقد ترغم فتاة على الزواج من فتى ما بأمر الأسرة ، وتكون غير مستريحة إليه ؟ هذا يثير التساؤل : أين هى إرادة الله ؟ مَنْ مِنْ هؤلاء يحقق إرادة الله ؟ وهناك فتاة أخرى ترفض كل من تقدموا لها حتى يفوتها قطار الزواج ، وتعيش دون زواج ، فهل كان رفضها متفقاً وإرادة الله ؟ قد تكون إرادة الله لها العزوبة ، وقد تكون الزواج ؟ ما رأيك فى شخص يذهب إلى الكنيسة ويقول للراعى : لقد أرسلنى الله لأعظ هذا الصباح ؟

إن إرادة الله لكى تتحقق لا بد من اتفاق الأطراف المختلفة التى يعنيها الأمر ، فإن لم تتحقق ، فلا يتم شيء . وهذا لا يكشف أمامنا ، ما هو حقيقة إرادة الله ، ومن الذى عطل تحقيقها . أما إذا إتفقت الأطراف المعنية فليس معنى هذا دائماً أنه ترتيب من الله . فقد يتفق البشر فى شيء ليس من إرادة الله قط . وقد يظنون خطأ أن هذه إرادة الله وقد يكونون على صواب .

هل نطلب إرادة الله فى الأمور السهلة :

هل أسأل الله رأيه فى أن ألبس الثوب الأسود أو الثوب البنى ؟ هل تتشاور فتاة مع روح الله عن الفستان الذى تلبسه : هل الواسع أو الضيق ؟ هل تستشير الله فى الطعام الذى تختاره لوجبة الغذاء التى تناولها اليوم ؟ هل أطلب معرفة إرادة الله إن كنت أتناول طعام إفطارى من البيض المسلوق أو المقلى أو من الفول أو أى نوع من أنواع المربات ؟ هل أسأل الله عن

أمور ترتبط بالتذوق والمزاج والذوق ؟ هل أسأله عن أمور تمس روتين الحياة اليومية ؟ هل أسأله إن كنت أدخل مباريات الكرة أو أحضرها كمتفرج ؟ هل أطلب رأيه عندما أريد أن أشترى بعض الأثاث المنزلى ، فأختار نوعاً من المقاعد أو الثريات بخلاف نوع آخر ؟

هناك أمور عديدة ، تتوقف على التذوق الإنسانى ، والخبرة العادية للحياة . إننا لا نسأل الله عن ذلك . إن المريض يستعمل الدواء الذى يعطيه له الطبيب ، لأن الطبيب بعد أن شخَّص المرض ، قدم له الدواء المناسب . ولا تتردد فى استعمال الدواء إلا إن كنت تشك فى قدرة الطبيب على تشخيص المرض . فإن شككت فإنك تسأل طبيباً آخر . لكنك فى حالة المرض تلجأ لله تطلب منه الشفاء .

إننا نلجأ إلى الله فى أمور الحياة الصعبة . إننا نطلب استرشاده لنا فى اختيار شريكة الحياة ، أو حرفة الحياة . عندما تواجهنا انفعالات الحياة العادية كالحسد والكراهية ، والغيرة والغضب ، نلجأ إلى الله يرشدنا إلى تصويب الأخطاء . عندما نجد أنفسنا نواجه مفاسد اجتماعية كالرشوة والكذب والانهيار الخلقى نلجأ إلى الله يعلمنا كيف نسلك . عندما يخونك صديق ، أوتنتشر عنك إشاعة كاذبة تكاد تحطم حياتك ترفع قلبك إلى الله تطلب مشورته .

أنك تحتاج لمعرفة إرادة الله إن كنت ستبقى فى مقر إقامتك ، أو تهاجر إلى دولة أخرى . فإن قال الله لك « أخرج من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك » فإنك لا بد أن تطيع . قد يرشدك روح الله إلى اختيار وظيفة ما تمارسها ، ولكن الله لن يطلب منك أن تكون عاطلاً ، دون عمل .

لا شك أنك ترفع قلبك إلى الله ليعاونك فى اختيار رسالة تقدمها ، عندما تدعى لإلقاء كلمة وعظ . وعندما تخطط لبرنامج روحى ، كما تخطط

لبرنامج اقتصادى ، أنت فى حاجة للسعى لمعرفة إرادة الله ، وطلب معاونته .

إن الحكم الحقيقى الذى يدفعك للإلتجاء لطلب مشورة الله هو من الأمور الصعبة ، والأمور التى لها آثار أو معانى أخلاقية تمس روحانية الفرد .

هل تكتشف إرادة الله دفعة واحدة ؟

سبق أن شرحنا كيف أن إرادة الله ترتبط بالطبيعة والتاريخ ، ودور ذلك فى حياة الفرد . ومنها أشرنا إلى أن إرادة الله تأخذ فى الاعتبار القوانين الوضعية الطبيعية وظروف التاريخ ، وإن كانت إرادة الله أحياناً تتخذ طريقاً معيناً للعناية الربانية والرحمة من خلال هذه الظروف عن طريق العلاقة الشخصية المباشرة بين الله والإنسان ــ كما ذكرنا ــ إن الله أحياناً يحول الشر إلى خير .

لذلك فإن مشيئة الله للإنسان ــ تحتوى ــ فيما تحتوى ــ على ذات الإنسان ، وشخصه ، ومواهبه ، وذكائه ، ومقدراته ، وحياته الاجتماعية ، وبيئته ، واختباره . إن كل هذا مشتمل فى إرادة الله الحية للبشر .

ولذلك فإننا لا نعرف إرادة الله دفعة واحدة . إننا بمرور الزمن نكتشف إرادة الله بالنسبة لحياتنا ، ونطابقها . إنك عندما تحس بأن حياتك مرتبطة بالله ارتباط الإيمان والحب ، فإنك لا تحتاج ــ كل مرة ــ أن تلجأ إليه بالصلاة وطلب إرشاده . فإن بعض المواقف التى تواجهك وأنت سائر فى الطريق ، تحتاج منك لتصرف مباشر . لذلك ، كان عليك ، أن تكون معداً دائماً بذهن روحى ، لتفكر فيما يتفق مع الإرادة السماوية ، حاذياً قدميك باستعداد إنجيل السلام ، معداً دوماً للخدمة ، لا يعطلك شىء .

إن حياة المؤمن ، تتجه بكاملها إلى الله ، وتحاول خلال مسيرة الحياة أن تكتشف خطة الله لها . وكلما نما الإنسان فى الحياة الروحية الإيمانية ، والخبرة اليومية ، والنضوج الفكرى والعاطفى ، كلما اقترب من معرفة إرادة الله .

ماذا لو أخطأت فى الطريق ؟

لو أننى اعتقدت أن عملاً ما يتفق مع إرادة الله ، ثم اكتشفت بعد ذلك أننى كنت مخطئاً ، فما هو موقفى من إرادة الله ؟ وماذا أعمل إن كنت قد اتخذت طريقاً ليس من السهل تغييره ؟ هل يحاسبنى الله ؟ وكيف أصوب الخطأ ؟

أنه لا يوجد على الأرض ، من يجرؤ أن يدّعى أن تصرفاً ما هو مائة بالمائة إرادة الله ، وإلاّ فإنه يدّعى لنفسه الألوهية ، وهذا مستحيل . ولا يجوز أن يدّعى فرد أن فكراً معنياً هو حديث مباشر من الله له ، فمن أدراه ؟

إننا لا نقدر هنا ان نحدد ما يتفق تماما مع إرادة الله وما لا يتفق معها . إننا نترك الأمر لكل واحد ، حسبما يفهم معاملة الله له . ليس لأحد أن يحكم على الآخر بأنه كان على صواب أو على خطأ . فالفرد وحده يحكم على تصرفه إن كان خاضعاً لإرادة الآب أو لا ، وقد يكون على صواب فى حكمه ، وقد يكون مخطئاً .

قد يتزوج فتى من فتاة — أو العكس — ويظن أنها من الله ، ثم يكتشف بعد زواجه منها أنه أخطأ الاختيار .

إن الإنسان « إنسان » .. معرض للخطأ . قد تؤثر عليه إنفعالات عاطفية معينة ، أو رأى لجماعة من الأصدقاء التى تحيط به ، أو لأية دوافع أخرى .

إن الله يقدّر الإنسان ، متى صدر عنه خطأ مخلص ، على أنه يحاول ألا يقع فيه مرة أخرى . والدور هنا لله أن ينقذ الإنسان ، أو يحول الشر إلى خير .

خلاصة

إننا نعرف إرادة الله لنا عن طريق البديهة والعقل والضمير المسيحى

والاختبار والأصدقاء . فهناك أمور نفهمها بالبديهة ونقرر فى ضوئها أنها تتفق مع إرادة الله . وهناك أمور يتحكم فيها العقل ويبدى رأيه الأساسى . ألم يخلق لنا الله عقولنا لنستخدمها ؟ إننا لا نشك أن من أهم عناصر الإيمان المخاطرة والمغامرة . وهناك مخاطرات لا تتفق مع العقل أو لا يوافق عليها العقل . إلا أن المغامرات لا تبدأ من فراغ بل تبدأ من أساس يعيش معنا . فلو قلنا مثلاً إن شخصية مشهورة أسست ملجأً على الإيمان فقط ، فلا شك أن هناك علاقات معينة لهذه الشخصية بكنيستها ، أو بأسرتها أو بمجموعة ما بنيت عليها انطلاقة الإيمان ، أو بدأت فيها . إن الإيمان الصحيح لا يبدأ من فراغ . لا يجوز لنا أن نبدأ عشوائياً ثم نتهم الإيمان . فلا يجوز لنا أن نفصل بين عقل المؤمن وإيمانه . أوليس الإيمان جزءاً من حياتنا العقلية والفكرية ؟ أوليس الإيمان فى حياة المؤمن — هو السيطرة الشاملة على حياته كلها . إنه ما لم تحدث مصالحة فى حياة المؤمن بين عقله وإيمانه لما أمكنه أن يسلك الحياة بحيوية وفعالية كافية .

ولعلنا نأخذ مثلاً من بطرس الذى اندفع ليسير على الماء . لا شك أن سبب السقوط أنه اندفع دون ارتباط كامل بين فكره وإيمانه .

إن الضمير المسيحى والخبرة الروحية توجهان الإنسان لمعرفة إرادة الله . لقد سبق أن شرحنا كيف أنه يمكننا أن نعرف شخصية الله عن طريق الاختبار . فما لا ندركه بالعقل ، وما نحسه باللمس ، نختبره بالإيمان وبالممارسة فى الحياة اليومية .

وعندما تشهد موقفاً يدفعك لخدمة إنسان محتاج ، قد تشعر بأن هذا الموقف يدعوك لعمل معين أو لخدمة معينة . فإن روح الله يحدثك عن طريق مشاهدة المواقف المختلفة التى تحتاج إلينا .

ومرات يحدثنا روح الله عن طريق حياة قديسين أبطال ، جاهدوا جهاد الإيمان الحسن ، فيكونون مثالاً لنا . إن تفاعل هذه كلها مما يعاوننا ذهنياً

لاكتشاف إرادة الله . لكننا لا يجوز أن ننكر أن « الصلاة » لها دورها فى اكتشاف إرادة الله . ونحن لا نتحدث هنا عن الصلاة « الروتينية » ، بل عن الصلاة الفعالة التى يمكنها أن توصل الإنسان لاكتشاف إرادة الله الصادقة . وسوف نفرد فصلاً خاصاً لدراسة دور الصلاة فى اكتشاف إرادة الله . إن إرادة الله ليست شيئاً معجزياً ساحراً غريباً شاذاً عنها ... لكن المشكلة الحقيقية هى أن نكتشف إرادة الله وسط صخب الحياة ومشاغلها ، وأن نميز بين إرادة الله وإرادتنا .

١٤

ما هو دور الصلاة فى اكتشاف إرادة الله ؟

إن صلاة الإنسان هى فهرس إيمانه[١٧] فصلاته إعلان عن مقدار فهمه لله وتوقعه من الله ورجائه فيه . إن الصلاة شركة مع الله ، فيها ممارسة فعلية وجادة لحضور الله الفعلى مع الإنسان . إنها علاقة « وجه لوجه » بين الإنسان والله . فعندما نصلى ، قد نتكلم ، وقد نصمت ، وقد نتأمل ، وقد نتحاور ، وقد نقرأ كلمة الله ، وقد نكتب ونناقش . إن الصلاة ربط فعال بين حياة الإنسان والله . ليس بطريقة محسوسة ملموسة ، بل بإيمان عميق .

بل أن الكتاب المقدس عندما علمنا الصلاة الشفاعية ، قصد أن يربط بحياتنا حياة المجتمع . فإن كنت لا أحب الإنسان الذى أراه فكيف أحب الله الذى لا أراه ؟ (رسالة يوحنا الأولى ٤ : ٢٠) .

فالصلاة ــ لكى تكون واقعية ــ فهى تشمل على المجتمع والعالم وأولئك الذين نتعامل معهم .

لذلك فحديثنا عن الصلاة حديث عن الشركة مع الله . بل أنها أكثر من ذلك ، إنها وسيلة التقديس والخضوع الكامل لله ولإرادته . إن الصلاة هى وسيلة إختبار وإنماء وتقديس الذات وإخضاعها لإرادة الله . يقول العالم اللاهوتى المعاصر كارل بارت[١٨] إن هذه العلاقة ليست مجرد مظهر رسمى عند تناول الطعام ، بل إنها أعمق من ذلك . إنها ارتباط أساسى عميق بين الله والإنسان .

إن الله شريك للإنسان وشركته مؤسسة على المحبة ، ليس الله قاضياً أو حاكماً ، إننا فى ضوء العهد الجديد نرى الله « محبة » .

إن الشركة مع الله هى خطوات نمو روحى بين المؤمن والله ، تزيد كلما

---

(17) Peter Bailz . op . cit ., p , 5

(18) Ibid . P . 50

زادت خبرة الإنسان فى مواجهة المواقف المختلفة . بل أن صلاة المؤمن هى جزء أصيل من هذه الشركة . فالصلاة ليست مجرد « كلام » من جانب واحد ، بل تجاوب فعال ، دليل إهتمام متبادل ، وإهتمام الإنسان بمقاصد الله ومشيئته ، كإهتمام الله بالإنسان .

بل أن شركة الله للإنسان شركة شاملة . فالله يرافق الإنسان فى الفرح والألم ، فى المحنة كما فى الظروف السعيدة ، إن الله يدخل مع الإنسان إلى أتون النار ويقف إلى جواره . « فإنه من قبل الرب تتثبت خطوات الإنسان وفى طريقه يسير (مزمور ٣٧ : ٢٣)[١٩] »

ولعلنا نتسائل هنا : ألا تغير الصلاة من إرادة الله ؟ ألسنا عندما نصلى طالبين الشفاء لمريض بالسرطان وهو مؤمن ، تقى ، ألسنا نغير من إرادة الله ، فيسمح الله له بالشفاء ؟ إننا فى هذا نفترض أننا أفضل من الله . إننا نحس بهذا القول أن إرادتنا نحن صالحة ، وكأن إرادة الله غير صالحة . إننا فى مرات كثيرة نعطف على المريض الذى يتألم من مرض مجهول الأسباب كالسرطان ، أكثر من عطف الله عليه ، أو أننا نحبه أكثر من حب الله له . بل إننا نفترض هنا أن إرادة الله له شر وأن إرادتنا له خير ، والواقع غير ذلك . إن كانت إرادة الله غير المباشرة تسمح لهذا الشخص بالمرض فإن إرادة الله النهائية هى للخير ، فإن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله . إن الله محبة . محبة أبدية أزلية . إن الناس يتغيرون ولكن الله لا يتغير ، إن الله محبة كاملة لكل البشر .

كما أن الصلاة ليست آلة ، تضغط على الزر فتتحرك وتحقق ما تريد . إن الصلاة ليست وقفاً على أغراض أنانية أو رغبات فردية . إن الصلاة ليست شفرة أو عملاً سحرياً ، يمسكه الإنسان فيحقق به رغباته . إن الصلاة أساساً شركة بين المؤمن والله ، شركة فى عمقها كشركة الزوج

(19) International Standard Bible Encyclopaedia. Vol . IV U . S . A. Eerdamans ., P. 2476

والزوجة وهدف الصلاة تحقيق هذه الشركة إلى جانب فهم إرادة الله بأكثر عمق .

لذلك لا تقل « إن الله لم يستجب صلاتى » ، قل أنك أنت لم تفهم إرادة الله ... إن الصلاة تعدك لتفهم إرادة الله ... وبأكثر عمق . فإن لم تحقق أمنيتك تكون بذلك أكثر استعداداً لقبول ما يحدث ، لأنك تتكيف مع إرادة الله .

الصلاة ليست إغراء الإنسان لله ليعمل الله ما يريده الإنسان . فالصلاة ارتباط حى فعال بين المؤمن وإلهه ، فيه يكتشف المؤمن إرادة الله ، ويتدرب على الخضوع لها . قد تطلب من الله شيئاً معيناً ولكن الله لا يستجيب . إننا بهذا نفسر أن استجابة الله هي تنفيذ الطلب : ومن قال لنا أن هذا الطلب يتفق مع إرادة الله ؟ فإن « هذه هى الثقة التى لنا عنده ، أنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا » . فإننا نطلب ما نظنه الخير ، وما نعتقد أنه الصواب ، ولكننا « لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى (رومية ٨ : ٣٦) » . لذلك فإن مهمتنا هى أن نوفق إرادتنا مع إرادة الله ، إن صلاة الإنسان لا تغير إرادة الله ، فإرادة الله الأصلح والأصوب دائماً .

بدأنا القول بأن صلاة المؤمن هى فهرس إيمانه . كما سبق أن ذكرنا أن إرادة الله تصلنا بعمل الروح القدس فينا بوسائل عديدة : عن طريق البديهة ، والعقل ومشورة الأصدقاء ، والضمير والاختيار ، وأحياناً نفهم دور روح الله فى الموقف ، وأحياناً لا نحس به متميزاً . وهذه كلها لا تنفصل عن الصلاة الصحيحة الصادقة الحية . إن هدف المؤمن الحقيقى أن يصل بالخبرة والإيمان والصلاة لمعرفة أشمل لشخصية الله . إن الله يدير العالم عن طريق إرشاده للناس ، والناس يكتشفون إرادة الله عن طريق الخبرة والإيمان والتفكير والصلاة كلها متفاعلة معاً .

إن طلب إرشاد الله لا ينفى أن يبذل الإنسان الجهد فى التفكير وفى

دراسة الأمر من كل نواحيه . كما أنه لا ينفى أن يستفيد الإنسان من خبرته الماضية . إن هدف المؤمن الحقيقى أن يصل بالخبرة وبالإيمان لمعرفة الله . إن الله يدير العالم عن طريق إرشاده للناس ، وعن طريق إكتشاف الناس له بالخبرة والإيمان . إن إطار الخير والإيمان يشمل بطبيعته البديهة والعقل والمشورة والضمير . قد يرشد الله الفرد وحده ، وقد يرشد جماعة تدرس معاً أمراً ما ، لا تأخذ الأمر بأنه مجرد إحساس ، ولا ترتبط بخبرتك البسيطة فقد يأخذ شخص خبرته المحدودة أساساً ، وقد لا تكون كافية . ولا تعتمد على مشاعرك وإحساساتك فإنها معرضة للكثير من الخطأ .

لكن المؤمن — بخبرته وعمقه الإيمانى وفهمه الصحيح لشخصية الله المعلنة فى كلمته المقدسة — يمكنه أن يصل إلى درجة خبرة تعطيه المقدرة على التمييز بين المواقف والأشياء . إن خبير موسيقى يمكنه أن يميز نبرة موسيقية واحدة خاطئة بين آلاف النبرات ، أو يميز أن نبرة موسيقية زادت مدتها جزءاً من ثانية عما كان ينبغى لها أن تكون . فهذه الحساسية — وهى وليدة الخبرة والعلم — تجعله سيد الموسيقى . والمؤمن الحقيقى — بما له من خبرة وإيمان — يصل إلى إكتشاف إرادة الله بوسائل أسهل . فهو لا يعتمد على الوسائل العشوائية قدر اعتماده على اكتشاف الإرادة بالخبرة والإيمان . لذلك فإن المؤمن يحتاج إلى مواصلة فهم شخصية الله بدراسة كلمة الله ، ودراسة الكتب الدينية ، والتعلم من خبرات الغير دون تقليدها . فإنه لا يوجد اثنان لهما خطة إلهية واحدة ، ولا يجوز لنا أن نقلد تقليداً أعمى .

لذلك لا تترد وتقول إنه لا ضرورة للصلاة إن كانت لا تغير إرادة الله ، فإن لم تصلِّ فكيف تكتشف إرادة الله ؟ وكيف تكون على إستعداد أكبر لتلقى نتيجة الصلاة عندما تتحقق من معرفة إرادة الله ؟ لقد صلى داود الملك لأجل ابنه المريض لكى يشفيه الله . وعندما مات لم يحزن ، بل نهض من مسوحه وحزنه ، وعاد لحياته العادية . إن ما عمله داود أروع صورة للمعنى الحقيقى للصلاة . فالصلاة جزء عادى من الخطوات التى تمارس

حتى تتحقق إرادة الله سواء باستجابة الصلاة أو بعدم استجابتها .

كما أن الله لا يكلم إنساناً فى أذنه فإن البعض يظنون أنهم عندما يصلون يجيب الله عليهم بصوت مسموع ، إن هذا لا يحدث ، ما لم يكن لديهم إستعداداً لإعطاء الخيالات مكاناً مسموعاً فى حياتهم . لماذا نلجأ إلى المحسوسات ... ألسنا مؤمنين ؟

١٥

كيف أوفق إرادتى مع إرادة الله ؟

إن كانت الصلاة وسيلة شركة بين المؤمن والله ، بها يتعرف المؤمن بأكثر قرب لإرادة الله ، وفيها يتدرب على إخضاع النفس لله ، فهل يتعارض هذا مع حرية الإنسان ؟

قال بولس الرسول : « لأن الله هو العامل فيكم ، أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة (فيلبى ٢ : ١٣) » . ولعل ما وراء ذلك هو « أننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع ، لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها (أفسس ٢ : ١٠) » . ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين (١٣ : ٢١) : « ليكملكم فى كل عمل صالح ، لتصنعوا مشيئته ، عاملاً فيكم ما يرضى أمامه بيسوع المسيح الذى له المجد إلى الأبد » .

إلا أن هذا لا ينفى مسئولية الإنسان بازاء إرادة الله . فالطالب الذى لا يدرس ثم يرسب ، ثم يفسر ذلك بأنه إرادة الله ، يكون قد أخطأ فهم إرادة الله العليا . إنك فى صداقتك مع صديقك تعيش حراً . ومع هذه الحرية مسئوليات والتزامات الصداقة . ومع الله ، عليك أن تسلم نفسك له ، بدون تحفظ وعلى أن تقوم بدورك . فالصلاة لا تحل محل العمل ، فلا مكان للكسل مع الله (أمثال ١٥ : ١٩) .

فإن الله يريد أن يستلم نفس الإنسان بكاملها ، إنه يريد أن يكون الكل فى الكل ، إنها علاقة الحب ، علاقة الأخذ والعطاء ، والتجاوب الحبى المتبادل العميق والشركة المباركة . أليس الله فعلاً هو الحق النهائى الذى ينبغى أن يعتمد عليه الكل ، فى كل شيء .

إن كثيراً من أفكار الإنسان ــ مؤمناً كان أو خاطئاً ــ هى وليدة عمل روح الله وإرشاده . قد لا يفطن لها وقد لا يدرك دور روح الله وراءها ، ولكن هذا لا ينفى أنها من عمل روح الله[٢٠] . بل أن الإنسان ينسى

---

(20) Ibid ., P . 2478

كثيراً أن المسكونة بكل ما فيها تحتوى فى تركيبها على إرادة الله .

خلق الله الإنسان وله حرية الاختيار أن يتصرف كما شاء . فى استطاعة الإنسان أن يتمرد على الله وأن يخطىء ضده ، وأن يمتهن كرامته . وفى استطاعته أن يسير فى الخطية ولا يطيع السيد . ألا أن الإنسان ليصل إلى قمة السعادة ينبغى أن يطيع الله . إنه ليس مرغماً على الطاعة ، ولكن الطاعة هى وسيلته الوحيدة لحياة سعيدة مباركة . إن الإيمان بالله هو إيمان نهائى ، إذ تجد كل الأمور تفسيرها النهائى فيه .

إن الواقع هو أن حرية الله مطلقة ، أما حرية الإنسان فهى نسبية . إن حرية الإنسان مقيدة بظروف خلقته ، وبيئته ، وظروفه العائلية ، إلى غير ذلك . ولا شك أن أسمى ما فى حرية الإنسان هو أن يكون فى طاعة كاملة لإرادة الله . فإن خالفها — وله حق فى ذلك — فهو يلحق بنفسه الضرر . قال يسوع « لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى ، بل مشيئة الذى أرسلنى (يوحنا ٦ : ٣٨) » . وقال فى مكان آخر « أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى أو أتمم عمله (يوحنا ٤ : ٣٤) » . وقال فى مكان ثالث « من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى (متى ١٢ : ٥) » . وقد علمنا فى صلاته المشهورة أن نصلى قائلين « لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض (متى ٦ : ١٠) » . فإن مجد حرية الإنسان هو أن يخضع نفسه لإرادة الله ويتجاوب معها .

ولعل هذا يعيدنا إلى ما سبق أن درسناه أن الله وضع خطة لحياة كل شخص ، وإذ خلق الله الإنسان أعطاه حرية أن يقبل هذه الخطة أو يرفضها . فلو أرغم الله الإنسان على تنفيذها ، كان إرغامه للإنسان قتلاً لحريته ، هذا فضلاً عن أن الخير الذى يعمله الإنسان من ذاته هو روعة الحرية ومجدها . قال يعقوب الرسول (٣ : ٤) « هوذا السفن أيضاً وهى عظيمة لهذا المقدار ، وتسوقها الرياح العاصفة تديرها دفة صغيرة جداً إلى حيثما شاء قصد المدير » . فلو سلمنا دفة حياتنا للسيد ، وجهنا فى إطار الخطة

المباركة ، وضمن سلامتنا.

ولعلك تتساءل : هل معنى ذلك ملاشاة إرادة الإنسان ؟ كلا ؟ فإرادة الله لا تلاشى إرادة الإنسان ؟ وإلا فمعني ذلك أن إرادة الله هى صاحبة السيطرة ، وبذلك يكون الإنسان مرغماً على السير فيما يعمله . ولكن الواقع أن الإنسان حر ، وله أن يوفق إرادته مع إرادة الله أو لا يوفقها ، فإن أراد أخضع إرادته لإرادة الله ، فإن إرادة الإنسان مستمرة ، ولها فاعليتها ، وهى تعمل كل شيء فى إطار الإرادة الإلهية . إن الإرادتين تعملان معاً كما فى حالة قيادة سيارة ، القائد يحركها أو يوجهها ، والموتور يعطيها قوة الدفع . إن توجيه السيارة دون قوة الموتور لا تحرك السيارة ، والموتور دون موجه لا يصلح ، فلا بد من الإثنين معاً . ما أحلى أن نقول مع السيد : « ياأبتاه ، إن شئت أن تجيز عنى هذه الكأس ، ولكن لتكن لا إرادتى بل إرادتك (لوقا ٢٢ : ٤٢) » . فصراع الإرادتين البشرية والإلهية ، ينبغى أن ينتهى إلى خضوع إرادة البشر لإرادة الله . أوليست قيمة الحرية بالنسبة لنا هى تحرير الإبن لنا (يوحنا ٨ : ٣٦) ، وخطة الآب لكل منا .

إلا أن المشكلة الواقعية هى : كيف تميز بين إرادة الله وإرادتك الشخصية ؟ وإن كنت متحيزاً لإرادتك الشخصية لأسباب طبيعية أو إنسانية أو عاطفية فكيف تعرف ذلك ؟ وكيف تتحرر من هذا التحيز ؟

هل تريد أن تعرف إرادة الله بكل إخلاص ، قد تكون متحيزاً فكرياً لأمر معين ، فتجتاز فى حيرة كبيرة فى معرفة إرادة الله الصحيحة . ولذلك فإن تحيزك الفكرى يقودك لا شعورياً إلى ما لا يتفق مع إرادة الله . خذ مثلاً فتى يفكر فى الزواج من فتاة معينة . وقد عرفها معرفة تامة ، واستراح إليها ، وأعجب بها وأحبها ، فإنه يصلى ، ويصلى ، ويصلى . وقد يراها فى حلم الليل ، وقد يقتنع بها فى فكره بالنهار ، وقد يتشبع بها ذهنه فى صلاته اليومية . إن هذا الفكر متحيز لاتجاه معين . إنه وهو يصلى ليس حراً فى

اكتشاف إرادة الله . قد توافق إرادة الله على ذلك وقد لا توافق . لهذا فإن الصلاة هنا ينبغى أن تتحول إلى حوار فكرى بين المؤمن والله ، فيه يحاول الفرد أن يكتشف كل الجوانب الصائبة فى العلاقة الزوجية الجديدة ، وكل الجوانب الخاطئة . فإن صراع الإنسان مع ميوله الطبيعية لاكتشاف نقاط الضعف تعاونه على تخفيف حدة التحيز الفكرى ، وتعطيه فرصة لاكتشاف إرادة الله . وقد يلعب الانتظار والصبر دوراً فى ذلك . فكم من انفعالات عاطفية عامة ذابت مع الزمن .

وقد يلزم الأمر أنك تدرس لتحصل على المعلومات الكافية . فهذا أمر لازم إلى جانب الصلاة . الصلاة وحدها لا تكفى لتلقى الضوء على الفكرة وكل جوانبها[٢١] . والموقف هنا يعتمد على مدى إخلاصك فى معرفة الله وإخلاء نفسك من التحيز الفكرى . وبعد هذا كله قد نفهم إرادة الله خطأ ونكتشف فيما بعد أننا أخطأنا . فإن كنا نبحث عن إرادة الله بكل إخلاص فإن أخطأنا ، كان هذا دور الله أن يكشف لنا الصواب . ألم يخطىء شاول الطرسوسى الذى كان يعتبر نفسه خادماً طائعاً لله وهو يقتل المسيحيين ويضطهدهم بكل قسوة ؟ وهنا أظهر الله نفسه له فى طريق دمشق قائلاً له : صعب عليك أن ترفس مناخس ؟ ...

وربما كان من الأفضل أن تمسك بورقة وقلم وأنت تصلى .. أكتب استعداداتك ومواهبك ومشكلاتك فى مواجهة استعدادات هذه الفتاة ومواهبها ومشكلاتها ... أكتب مميزات العلاقة الزوجية بها . وأكتب عيوبها ... لعلك بهذه الورقة تخرج نفسك من التحيز الفكرى . فالكتابة مع الانتظار تعطيك فرصة لإخلاء ذاتك من شىء من التحيز الفكرى لعلك تصل لاكتشاف إرادة الله .

---

(21) F . B . Meyer . The Secret of Guidance . Chicago : The Bible Infsitute P . 90

١٦

خطوات عملية في محاولة اكتشاف إرادة الله

حاولنا فى هذا الكتاب أن نستعرض مكان إرادة الله فى العالم ، للعالم وللبشر . وقد رأينا أن لله خطة ممتازة لحياة الإنسان ، وللعالم . فدخول الخطية إلى العالم غيَّر بعض الأوضاع . ولذا فقد رأينا ، أن الواقع ليس دائماً هو إرادة الله . كما اكتشفنا أن الألم ليس هو إرادة الله للإنسان مطلقاً . وإن كان الله يسمح به لظروف سبق أن درسناها . إنه من المؤكد أن إرادة الله للإنسان صالحة مرضية كاملة .

ثم استعرضنا محاولات الإنسان فى اكتشاف إرادة الله . وقد تعرضنا لدراسة وسائل الفلك ، ومخاطبة الموتى ، وعقيدة الحظ ووسائل الصدفة المختلفة ، كالقرعة ، ووضع علامات معينة وغيرها ، فهى وسائل لا ترينا الطريق . ثم تعرضنا لوسائل الرؤى والأحلام ، ووجدنا أنها لا تصلح دائماً .

لقد حاولنا أن نوضح أن الاعتماد على المحسوسات والملموسات ، قد يكون خادعاً لنا . فإننا ــ أحياناً ــ تختلط عندنا رغباتنا الشخصية ، وتدفعنا ــ عن طريق إحساساتنا ــ أن نعتقد أنها إرادة الله .

وقد رأينا أيضاً أنه لا يجوز لشخص ما أن يدَّعى أنه يعرف إرادة الله فى موضوع معين ، مائة بالمائة ، لأن التأكيد الكلى الثابت هو لله وحده . وأقصى ما يصل إليه الإنسان ، أن يقول : إنه يعتقد أنه يعرف إرادة الله فى هذا الموضوع . وبذلك يترك مجال نسب الخطأ للإنسان ، لا لله .

ومن خلال كل هذه الدراسات ، بقى لنا طريق واحد ، يمكن أن نعرف إرادة الله عن طريقة وهو عقل الإنسان .

عقل الإنسان

خلق الله عقل الإنسان ، وأعطاه إطارات واسعة وجبارة للتفكير . فخيال الإنسان واسع جداً . وقدرة الإنسان الفكرية عظيمة . ولقد أراد الله ذلك لعقل الإنسان ، ليكون الإنسان المخلوق على صورة الله ، شريكاً

فعلياً لله ، فى مهام الحياة الدنيا .

وعقل الإنسان هو محور الحياة الإنسانية برمتها . فهو الذى يدير الحياة البشرية بكل محتواها ، وهو الذى يسبب السعادة أو التعاسة لصاحبها ولغيره . وهو الذى يعاون على بناء السلام أو إقامة الخلاف .

لذا ، فإن عقل الإنسان ، خلق لا ليكون مستقلاً عن خالقه ، بل شريكاً له . ولذا ، فعقل الإنسان ، متى استقل تعرض للإنزلاق ، ومتى ارتبط بخالقه ، سار فى طريق سوى .

وقد سبق أن أوضحنا ، أن إرادة الله لا تلاشى إرادة الإنسان ، وبالتالى ، فإن عقل الله ، لا يلاشى عقل الإنسان ، بل يعمل به ، ومن خلاله .

قضية عملية

وهنا يفرض سؤال نفسه علينا : كيف يعرف إنسان ما إرادة الله فى قضية معينة . لنأخذ مثلاً : قضية اختيار شريك الحياة . كيف يعرف فتى معين (أو فتاة) أن فلانة (أو فلاناً) هى التى يريدها الله شريكة لحياته ؟

إن الزواج قضية العمر ، ولا شك أن كل طرف يريد أن يحدد بكل دقة طريق مستقبله ، لكى يستريح أنه لم يخرج عن خطة الله لحياته .

أصوات محيطة ــ وتحليلها

يستمع الإنسان لأصوات عديدة ، من داخله تدفعه للتفكير والاختيار . وهذه الأصوات تتداخل معاً ، لدرجة أن الإنسان ــ أحياناً ــ لا يقدر بسهولة أن يميز الواحد منها عن الآخر ، قد يظن إنسان أنه « روحى » جداً ، ولذا فإن الأصوات الداخلية كلها روحية . وهو بذلك ينسى أنه فى « الجسد » ، وأنه يعيش فى « العالم » ، ولا شك أن صوت الجسد عال ، وصوت العالم عال جداً . وصوت الجسد ليس دائماً خطأ ، وصوت العالم ليس دائماً خطأ . وكذلك ، فإن صوت روح الله عال ، وقد يتفق

أحدهما معه .

إن رغبة الزواج تتولد من رغبة الشاب فى الاستقرار ، وهى رغبة روحية وأيضاً مادية . كما أن رغبة الزواج تتولد من رغبة الحب ، والحب عاطفة مقدسة ، تتولد معها الرغبة الجنسية ، وهى أيضاً رغبة طاهرة . إنه ـــ ولا شك ـــ يوجد فى كل رغبة زواج : رغبة للاستقرار ، ورغبة جنسية .

إلا أن رغبة الحب ، أحياناً تكون أنانية . فالحب من أول نظرة ، كالحب من طرف واحد ، كلاهما رغبة أنانية . إلا أن الحب الحقيقى ، رغبة صادقة ، تربط بين طرفين ، يريدان الاندماج ، كل منهما يرغب فى سعادة الطرف الآخر .

العلاقات ـــ وتحليلها

ولما كان الزواج شركة بين إنسانين ، فهى شركة روحية ، إلى جانب أنها ـــ أيضاً ـــ شركة جسدية ، ليكونا جسداً واحداً ، وشركة مادية ، لها إرتباطاتها المادية والمالية الشاملة . ومتى خلت حياة الشريكين من المحتوى الشامل للحياة : روحياً ومادياً ، كانت الشركة ناقصة فى محتواها .

يضاف إلى ذلك ، أن الزواج شركة تربط بين إنسانين ، وبالتالى بين أسرتين . فلو قال الفتى إنه يحب فتاة أحلامه ولا يهمه أسرتها ، وقالت الفتاة إنها تحب فتى أحلامها ، والحب وحده لا يكفى ، كان كلامها كالصيد فى الماء العكر . وبذلك يدخلان إلى عش الزوجية ، ويواجهان مشكلات لا حصر لها ، تنغص عليهما حياتهما وشركتهما ، وتجعل حياتهما جحيماً لا يطاق .

ناهيك عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية التى يواجهها الطرفان ، من اللحظة التى يدخلان فيها إلى عش الزوجية ، والتى ينبغى أن تكون موضع الاعتبار .

الفكر والرغبة

ليس من المعقول أن يواجه إنسان مستقبل حياته ، بأن كل ما يهمه أنه أحب فتاة ، وأحبته هى ، فيندمجان ، ويتركان المستقبل وشأنه .

وليس من المنطق أن يقول فتى ، إن الله أرشده أن يتزوج فلانة ، كما أرشدها هى أيضاً ، فيتزوجان ، والله يدبر المستقبل . لقد سبق أن درسنا ، أن الله يعمل مع الإنسان ومن خلاله ، فالإنسان شريك لله ، والله فى شركته مع الإنسان يوجهه ويرشده . إن ترك كل الأمور على الله ، أسلوب سلبى هروبى من المسئولية .

الفكر التحليلى

يعانى كل فتى وفتاة من « نشوة عارمة » وهو يفكر فى الطرف الآخر . والنشوة عادة تحرم الإنسان من التفكير العقلانى المتزن . فالنشوة — عادة — تعبر عن اتجاه فكرى حاد ، تختفى معه قدرة الإنسان — على التفكير التحليلى ، الذى يرى جوانب القوة وجوانب الضعف .

إلا أن هناك من يعانى من « التردد » ، فى الاختيار ، وهو بذلك يصارع بين « النشوة » و « التردد » . وقد يكون التردد لون شخصية الفرد . يظهر فى تصرفاته فى كافة الأمور ، وقد يكون نتيجة تخوفه من الإقدام على خطوة كبيرة ، أو يكون ظاهرة من خلال دراسة متزنة لاختيار سليم . ولكى يكون التفكير التحليلى مشاركة بين الله والإنسان فإنه يتم عن طريق الصلاة .

الصلاة بين الفعالية والسلبية

تحدثنا قبلاً عن « الصلاة كوسيلة أساسية فى البحث عن إرادة الله . ولا شك أن الصلاة لها دورها الجاد والفعال فى طريق معرفة ما يريده الله للإنسان . والصلاة التى نتحدث عنها هنا هى « الصلاة الفعالة » ، وليست

« الصلاة السلبية » ، فالبعض يظنون أنهم يصلون وفجأة يهطل عليهم الوحى ، سواء برؤيا أو بحلم ، أو باستماع مباشر لصوت الله ، يقول للفرد : تزوج فلانة !

إن الصلاة السلبية ، هى صلاة الكسول ، غير المسئول ، الذى يريد أن يهرب من المسئولية ، ولا يريد أن يتعب نفسه فى التفكير . إن صاحب الروح السلبية ، يريد أن يضع الحمل على روح الله وحده . ولا شك أن روح الله مسئول . لكنه فى التعامل مع البشر ، يريد أناساً قديرين على حمل المسئولية ، لكى يكون القرار « رأى الروح القدس ونحن » . إن مشاركة القرار تحول دور الإنسان إلى دور إيجابى ، فيحمل المسئولية المشاركة ، مع روح الله ، فى الفكر ، وفى الإلتزام .

إن طبيعة الحياة الروحية ، ليست مجرد طاعة الإنسان لله ، دون اتخاذ الإنسان الخطوات العملية المشاركة لروح الله . ولكى يحس الإنسان بالإلتزام ، ويرتبط بالمسئولية الجادة فى القرار الذى يتخذ ، لا بد من مشاركة الإنسان لروح الله فى الوصول إلى القرار .

القرار المسئول

وهنا يأتى سؤال تال : كيف أشارك أنا روح الله فى اتخاذ القرار ؟ وهو سؤال منطقى طبيعى .

تتم المشاركة بالصلاة ، سواء فى الخلوة المباشرة أو غيرها ، عن طريق تقييم عملى واقعى عقلانى ، فيه يحاول الإنسان أمام الله ، أن يكتشف الطريق .

لذلك يلزم أن يقيّم الفتى شركة حياته ، كما يقيّم توقعاته من المعيشة معها . والتقييم هنا يشمل كل الجوانب . إن لكل شخص ميزات وعيوب . وهناك عيوب يقبلها الفتى ، وعيوب لا يقدر أن يعيش معها . وهناك عيوب يقبلها فتى ، لا يرضى بها فتى آخر . فالفتاة التى تصلح لفتى معين ، قد

لا تصلح لغيره . وكذلك الفتاة ، تُقَيِّم الفتى بنفس القدر ، لتكتشف عيوبه وترى إن كانت هذه العيوب هى التى تقدر أن تعايشها .

لا يجوز لفتى ، أن يخدع نفسه . فاكتشاف جوانب الضعف وجوانب القوة ، هام للإنسان فى بدء تفكيره . فإن علاقة الطرفين معاً ، والحديث عن مواجهة الظروف ، وأسلوب التربية المنزلية . وما يقبله كل فرد ، وما يرفضه ، هام للوصول إلى جوانب الضعف أو القوة فى كل .

إن الزيارة المتبادلة بالمنزلين ، والحديث عن التزامات العمل ، والحديث الذى يكشف أسلوب النشأة ، وما فيه من ميزات أو مشكلات ، يعاون على استجلاء جوانب عديدة فى الطرفين .

كما أن خبرة كل طرف ، فى الأسر الأخرى التى يتعامل معها ، تعاونه على معرفة جوانب التكيف اللازمة للطرفين . هناك زوجة تتأقلم مع زوج بخيل ، وأخرى لا تتحمل البخل قطعياً . وهناك زوج يقبل الزوجة صاحبة القرار المستقل ، وآخر لا يقبله قطعياً . ومن الأزواج من يستريح مع زوجة تحس بالحرية والاختلاط ، وآخر يرفضه مطلقاً .

كما أن دراسة أسرة الفتاة ، تهم الفتى ، ولا شك أن الفتاة يهمها أن تدرس أسرة الفتى ، فالفتى الذى يخضع خضوعاً أعمي لأمه — دون تفكير ، قد يدفع حياة الفتاة بعد الزواج أن تكون جحيماً . فإن قليلات جداً من الزوجات ، يسمحن لسيطرة الحماة على ابنها الزوج .

إن التعرف على أصدقاء كل طرف ، يعاون على كشف أسلوب حياة الشخص وعاداته ، وتقاليده ، ومستوى صداقاته . إن الطرفين سيتعاملان مع أصدقاء كل منهما . ومن خلال دراسة واضحة للصداقات ، قد يكتشف كل طرف جوانب جديدة فى شريك حياته . وكلما كان التعرف من خلال جلسات عادية للحياة ، كلما كان التعرف أعمق .

إن محاولة كل طرف اكتشاف الطرف الآخر ، بصورة أعمق ، تعتبر جهداً

إنسانياً عادياً لزيادة معلومات كل شخص عن الآخر . والدراسة هنا تهدف إلى اكتشاف : المستوى الروحى ـــ العطاء ـــ الصداقات السلطوية ـــ جوانب السلوك الفردى العادى ـــ مواصفات عامة فى الشخصية ـــ مستوى الأسرة ـــ إلى غير ذلك .

ولا شك ، أن الحوار الصريح بين الفتى والفتاة ، فى المشكلات والقيم ، يعاون كل طرف على الاختيار السليم . فإن الجلسات بين الطرفين لا يجوز أن تقتصر بين الاثنين على كلمات الحب ، بقدر الاهتمام باكتشاف معلومات عن الطرف الآخر ومبادئه فى الحياة والفكر ، وأساليبه فى التصرف .

إن بعض هذه المشكلات ، قد يحتاج لاستشارة شخص موضع ثقة ، للمعاونة على زيادة المفاهيم . هذا إلى جانب مواصلة عرض المشكلات ، فى حوار فكرى أمام الله ، فى الصلاة ، بشىء من الاتزان ، ومحاولة الحياد قدر الجهد البشرى ، يرشد روح الله الإنسان ، من خلال كل دراسته .

هذا إن كان الفتى يختار فتاة معينة . أما إن كان أمامه الخيار بين اثنتين أو ثلاث ، فعليه أن يدرس الكل . كذلك على الفتاة .

دور الروح القدس

إن هذا لا يعنى ، أن الشخص ، من خلال كل دراسته ، يكون قد استوضح كل شىء . فهناك جوانب ، يكتشفها الفرد فى الطرف الآخر ، بعد الزواج .

لهذا كان دور المشاركة بين الروح القدس والإنسان ، دور أساسى . فالإنسان المخلص المسئول ، يقوم بدوره ، وما ليس فى استطاعته ، يكون دور الروح القدس ، متى كان الإنسان متجاوباً مع روح الله .

ولا شك ، أن إتفاق الطرفين فى المثل والأهداف الروحية منها والإنسانية ، يقف فى مقدمة هذه الدراسة .

إن هذه الدراسة تعاون الإنسان أن يكون واعياً فى اختيار الطرف الثانى ، عن شخصيته ككل ، بما فيها من ميزات وعيوب ، وبذلك يدرك الدور الذى يأخذه .

والصلاة من خلال هذه العملية ، صلاة مسئولة ، فيها حوار بين الإنسان والله ، فيها يعبر الإنسان عن رأيه وأفكاره ، وفيها ينصت الإنسان لله .

اتخاذ القرار

إن هذه المرحلة لا يجوز أن تكون لانهائية . فلابد من تحديد وقت ، فى الصلاة ، ليكون نهاية للمرحلة ، واتجاهاً لاتخاذ القرار .

ولا شك أن أحد عناصر اتخاذ القرار هو موافقة الطرف الآخر .

وبذلك يتجه الاثنان معاً فى طريقهما إلى الزواج . إن هذا الطريق قد يكون مفروشاً بالورود أو بالأشواك أو بكليهما معاً ، لكن هذا لا ينفى أنه قرار « الروح القدس ونحن » .

إن هذا لا يمنع أنه قد يظهر طارىء حاد ، يكشف به روح الله ، أن أحد الطرفين قد أخطأ ، والإنسان الذى يستمع لصوت الله ، يتجاوب معه .

تقييم الرحلة

قد تظن معى أن هذه الرحلة صعبة ، فكلها رحلة عقلية ، يجتازها عقل الإنسان ، فى تفكير ودراسة جادة ومجهدة ، مع روح الله . وقد تقول إن الأسهل وضع علامات معينة ، متى تحققت فهى إرادة الله . أو أنه من الأسهل طلب رؤيا أو حلم ، فمتى حدث كانت دعوة الله . نعم ، إنها أسهل ، ولكنها قد لا تكون هى الصواب . هذا إلى جانب أن الطريق الأسهل المذكور ، يكون فيه الإنسان سلبياً ، لا يقوم بدوره . إن السيد المسيح لا يرفع الحجر ، الذى يقدر البشر عليه ، لكنه يعمل ما لا يقدر

الإنسان أن يقوم به

إن الله يتعامل مع الإنسان عن طريق عقله . وعقل الإنسان خلقه الله . ومتى ارتبط تفكير الإنسان ، بإطار الخضوع لله ، كلما كانت ميزة الإنسان سليمة ، وبذلك يستأسر الإنسان كل فكر لطاعة السيد .

إن المهمة مهمة مشتركة ، بين روح الله والإنسان ، ولا بد لروح الله أن يقوم بدوره ، متى قام الإنسان بدوره .

نماذج أخرى

هناك قضايا عديدة ، فى حياة الإنسان ، يحاول أن يسترشد فيها بروح الله . شخص أمامه عملان ، ماذا يختار ؟ شخص يريد أن يهاجر لدولة أخرى ، يقضى فيها بقية العمر ، مع أفراد أسرته ، ماذا يعمل ؟ وكثير غير ذلك .

إن المرحلة مع روح الله ، مرحلة فكرية ، فيها يشترك الإنسان بدوره مع روح الله ، يقيّم الدور ، ويسترشد بالروح .

إن ارتباط الإنسان بالصلاة ، من خلال اكتشاف إرادة الله ، يعاون الإنسان على الإلتزام بمطاليب روح الله ، وبالقيم الإيمانية ، التى تشكل الكثير من الدور .

كما أن ارتباط الإنسان ، بالمشاركة مع روح الله ، يضمن أكبر قدر ممكن للإنسان من الحيدة . فالإنسان « يسترشد » بروح الله لا « بفرض » رأيه على الروح . والاسترشاد يدفع الفرد أن يقف ــ قدر إمكانه ــ محايداً ، ليعطى روح الله الفرصة ، أن يكشف له إرادته .

إن الإنسان وهو يقوم بدوره فى المشاركة مع روح الله ، يمارس مسئوليته التى منحت له من الله ، منذ أن خلقه الله على صورته والإنسان ، يمارس هذا الدور فى صنع قراراته الشخصية ، أو القرارات التى يلتزم بها معه من أعمال.

ليس وصفة سهلة

أعود مرة أخرى ، إلى ما جاء فى مقدمة هذا الكتاب . فإن الخطوات العملية المقدمة ليست وصفة سحرية ، ولا سهلة . بل إنها أسلوب حياة ، يبنيه الإنسان المؤمن ، مع الله ، وكلما تدرب عليه ، كانت ممارسته التالية أسهل . إن السهولة هنا تتولد من كثرة التدريب على الممارسة ، فى مشاركة روح الله فى الفكر ، وحمل المسئولية .

إن الإيمان المسيحى ، ليس وصفة سهلة ، لكنه مشاركة والتزام ، أمام الله ، ومع لله . والذى يدفع الإنسان إلى ذلك ، ويسانده ، هو نعمة الله التى تنسكب على الإنسان بوفرة . لذا ، فالإنسان ، وهو يجاهد ليعرف إرادة الله ، يتأكد أن نعمة الله معه ، وروح الله يرشده .

تعليق ختامى

لقد تعرضنا لكافة الوسائل والطرق التى استخدمت وتستخدم بحثاً عن إرادة اللّٰه . ولعلنا أدركنا أن كل الوسائل التى تعتمد على المحسوسات والملموسات وسائل يعتمد عليها أطفال الايمان لخبرتهم وفهمهم المحدودين . اننا نكتشف إرادة اللّٰه لنا خلال الشركة الحية مع اللّٰه التى تستخدم الفكر والخبرة وتبنى على ايمان عميق ، ينمو ويزداد يوماً بعد يوم .

لنحاول ... مستأسرين كل فكر الى طاعة المسيح . فاننا كلما زدنا ايماناً ، وكلما زادت شركتنا عمقاً ، اقتربنا من معرفة إرادة اللّٰه .

مراجع الكتاب

Allen, Cady H. **The Guidance of God.** Philadelphia Press, 1968.

Bailz, Peter. **Prayer and Providence.** London: SCM Press Ltd., 1968.

Buttrick, George Arthur. **The Interpreters' Bible.** N. Y. : Abingdon Press, 1939. Vol. V., pp. 550-551 and 752.

Coder, S. Maxwell. **God's Will For Your Life.** Chicago: Moody Press, 1946.

International Standard Bible Encyclopedia. Vol. IV, USA: Eerdmans' Pub. Co., pp. 2476-2485.

Keil, C.F. and F. Delitzeeh. **Biblical Commentary on the Book of Samuel.** Translated from German by Rev. James Martin. Grand Rapids: MWM.B. Eerdmans' Pub. Co., 1963. VOl. II, pp. 260-270.

Keil. C. F. and F. Delitzech. **Biblical Commentary on the Prophecies of Isiah.** Translated from German by Rev. James Martin. Grand Rapids: MWM.B. Eerdmans' Pub. Co., 1963. Vol. II, pp. 243-245 and 482-486.

Meyer, F.B. **The Secret of Guidance.** Chicago: The Bible Institute.

The Interpreters' Dictionary of the Bible. N.Y. Abingdon Press, 1962. p.p. 940.

The Encyclopedia Britannica, 11 Ed., Cambridge: The University Press, 1011. pp. 795-800.

بطرس عبد الملك ـــ د . والقس جون طمسون وابراهيم مطر . **قاموس الكتاب المقدس** . بيروت : مكتبة المشعل ، ١٩٦٤ . ص ٩٦ ، ١٣٦ .

